السبت 27 تشرين الثاني 2021
العدد 4499 السنة السادسة عشرة
Samedi 27 Novembre 2021 nº 4499 16ème année

24 صفحة
2000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

كلمات

فاطمة المرنيسي
ما بعد النسوية

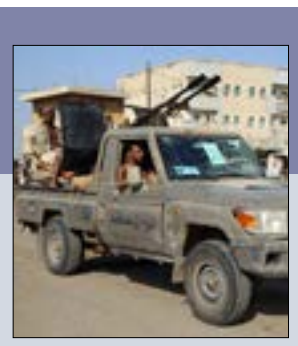

وثائق سرية أميركية – خليجية حول العدوان

السعودية تتذمّر من جماعاتها وأميركا تنصح:
الحوثيون لن يتراجعوا... فتّشوا عن حل! [6]

جوزيف عون يدشن حملته الرئاسية
حكم عسكري واعتقال صحافي [2]

قضية اليوم

ديكتاتورية الجيش وعسسه

إبراهيم الأمين

عندما تتصرّف أعلى سلطة قضائية بهذا القدر من الانحياز السياسي والطائفي، فتَستخِفّ بعقول أهل العلم والقانون، وتتجاهل مصير البلاد والعباد كرمى لعيون دول عدوّة ترعى قاضياً لا يهتم لرأي ويواصل جنونه، بعيداً عن أي نوع من المساءلة والمحاسبة.

وعندما يقبل قضاة من رتب عالية الخضوع لضغط سفير أو زعيم أو حفنة من زعران السفارات أو سلطات من يتحدّثون باسم الله ويمسكون بمفاتيح الجنة.

وعندما يصمت قضاة عن كل أنواع التمييز العنصري طبقياً واجتماعياً وسياسياً وطائفياً ووظيفياً ضد زملاء لهم أو ضدّ مواطنين متضرّرين أو مشكّكين بحيادية قاض،

وعندما تصبح السلطات القضائية، كاملة، رهينة رغبات بعض أهلها ممن يطمحون الى مواقع بارزة في الدولة على شاكلة رئيس أو وزير أو نائب، وممّن يقبلون بالتعدّي على حرمة الدماء والعمل غبّ الطلب عند حاكم يصدر أوامره من خلف البحار،

وعندما تتحوّل المنظّمات المحلية والإقليمية والدولية المعنية بالحريات العامة وحقوق الإنسان إلى شريكة في الجرائم بصمتها أو تحيّزها أو حيادها السلبي...

عندها يكون لبنان أمام حالة القهر اللامحدود بكل أنواعه، وعندها ليس علينا أن نستغرب تصرّف محكمة عسكرية استثنائية غير قادرة على أداء واجبها المفترض بها تنفيذه باستقلالية عن إمرة وإليها العسكري، رئيس المحكمة العسكرية، العميد منير شحادة، يعرف أنه خالف القانون عندما قبل النظر في ادّعاء ضد صحافي للاشتباه في أنه ارتكب جريمة رأي. لكن رئيس المحكمة العسكرية يقول صراحة، من دون خجل أو وجل، إنه غير قادر على الوقوف محايداً أمام ادعاء يمسّ هيبة الجيش وقائده، وهو لن يفعل ذلك خشية أن يظهر ضعيفاً، بينما قبل مدّعون عامون بالمهمة نفسها. وهو يعرف أنه أسقط كل الحياد البديهي الذي يفترض به أن يتمسّك به عندما يجلس على قوس ليصدر حكماً فيه قهر أو تعسّف بحق مواطن، فكيف وهو يعرف، كما نعرف نحن، أن ملاحقة الزميل رضوان مرتضى أمام المحكمة العسكرية ليست سوى فعل انتقامي شخصي تولّاه قائد الجيش العماد جوزيف عون.

جوزيف عون مواطن عادي، ويبقى مواطناً عادياً حتى لو شغل منصب قائد الجيش، وهو يعمل بإمرة الشعب، وموظف يتقاضى راتبه من المواطنين، ويفترض به أن يكون أول من يحترم نصوص الدستور والقوانين. لكنه، مع الأسف، يعتبر نفسه فوق كل السلطات، وفي موقع يخوّله القيام بكل ما يريد من دون سؤال أو رقابة أو نقاش، ولا يقيم وزناً لكل السلطات الدستورية. فلا هو مهتمّ برأي رئيس للجمهورية أو رئيس للحكومة أو وزير للدفاع، ولا هو مهتم أصلاً برأي مجلس النواب، ولا يحترم الصحافة ولا كل من يخالفه الرأي. وهو يقصد عواصم العالم ليستجدي تمويلاً مباشراً، ويقبل بتلقّي هبات مالية مباشرة من دول وحكومات وأشخاص، ويضعها في حسابات لا يمكن لغيره إدارتها، ثم ينفق ما يراه مناسباً على من يراه مناسباً. وفوق كل ذلك، يريدنا أن نتهيّأ لاستقباله، قريباً، رئيساً جديداً للعصفورية اللبنانية.

ما قررته المحكمة العسكرية، أمس، من حكم بالسجن على الزميل مرتضى، ليس سوى جريمة كبيرة بحق الجيش والقضاء والصحافة والحريات. وهو رسالة تهديد لنا، في «الأخبار» وفي الجسم الصحافي، وتلويح لنا بالويل والثبور إن سألنا أو دقّقنا في ما تقوم به مؤسسة عسكرية تعاني الأمرّين في ظل هذه القيادة.

ما قررته المحكمة العسكرية سنتعامل معه على شكل دعوة صريحة، لنا، بأن نرفع الصوت والسقف الى أعلى. وليس بيد هذه المحكمة، ومن خلفها الجيش، سوى إصدار مزيد من الأحكام، وإرسال العسس للاحقتنا في بيوتنا ومكاتبنا، باسم القانون الأجوف الذي بات واجباً مقاومته وعدم الانصياع لشروطه. وليس بيد هؤلاء الطغاة إلا اللجوء إلى مزيد من البطش والقمع، لأننا لن نقبل مراعاة أحد بعد اليوم، وسنذهب الى أقصى ما نقدر عليه، في المراقبة والتدقيق والقول الصريح، سواء أعجب كلامنا من أعجبه أو أغضب من يريد أن يغضب.

ببساطة شديدة، لن نقبل بسلطة الأميركيين القائمة بواسطة جوزيف عون وعسسه، ولن نتوقف عن فضحهم ومقاومة بطشهم وقهرهم.

أما الذين يسكنون القصور الباردة كالقبور، شركاء كانوا في أصل الجريمة أو واضعي أقنعة أو صامتين، فهؤلاء ليسوا أقلّ من شركاء صغار في هذه الجريمة...

جوزيف عون، أرسل عسسك لاعتقال رضوان مرتضى، واعتقال من تريد منا. افعل ذلك بالطريقة التي تحلو لك. لكن، ذق بأنك لن تحظى منّا بلحظة صمت عن موبقاتك كيفما سرت ونطقت وتحركت!

الحكم على رضوان مرتضى بالسجن صدر عن «مكتب القائد»

حسن عليق

في عام 1949، أصدرت المحكمة العسكرية حكماً بسجن رئيس تحرير جريدة «النهار» غسان تويني لثلاثة أشهر. صدر ذلك الحكم، إثر جريمة ارتكبتها المحكمة نفسها، حين قضت بإعدام الزعيم أنطون سعادة. وكان تويني قد كتب مقالاً اعتبرته السلطة حينذاك مسّاً بها وبهيبة مؤسساتها الأمنية والعسكرية. في ذلك الزمن الذي يوصف بـ«الجميل» (في هذا الوصف الكثير من المازوشية) كان الإعلام يخضع للرقابة. وكانت الصحف تصدر أحياناً تاركة مساحة بيضاء بعدما قصّ الرقيب مضمونها. والحكم على صحافي بالسجن، كان يُعدّ «عادياً»، إلى حدّ ما. أما في عام 2021، فتبدو قيادة الجيش خارج الزمن، بعدما انتزعت الصحافة، على مرّ العقود، حق الامتناع عن سجن الصحافي متى كان الجُرم الذي يُلاحَق فيه مرتبطاً بمهنته، فضلاً عن حق القاضي أمام محكمة المطبوعات حصراً. في العقد الثالث من القرن الحادي والعشرين، أمر قائد الجيش العماد جوزيف عون رئيس المحكمة العسكرية العميد منير شحادة بأن يُصدر حُكماً بسجن صحافي بسبب كلمة قالها في مقابلة تلفزيونية. وتلك الكلمة التي قالها الزميل رضوان مرتضى، فيها توصيف لطريقة تعامل الجيش مع قضية بحجم وجود 2750 طناً من مادة نيترات الأمونيوم في مرفأ بيروت، ما أدى إلى انفجارها والتسبب بواحدة من أكبر الكوارث التي حلّت بالعاصمة خارج أوقات الحروب والاجتياحات.

> لم يُخفِ شحادة في الاشهر والاسابيع الماضية واقع انه ينفّذ امراً عسكرياً، لا إجراء قانونياً

رئيس المحكمة العسكرية (أعضاء هيئة المحكمة وممثل النيابة العامة هم مجرّد «كومبارس») أمتثل لأمر قائد الجيش، وأصدر حُكماً غيابياً بسجن الزميل مرتضى مدة سنة وشهر! السجن لسنة وشهر، عقوبة رأت المحكمة أن مرتضى يستحقها، بسبب ارتكابه جرم قول كلمة.

المحاكمة جرت غيابياً. ولم تراع أي أصل من أصول العدالة:

أولاً، لم يتبلّغ الزميل مرتضى بوجوب مثوله أمام المحكمة، لضمان حقه في الدفاع عن نفسه.

ثانياً، المحاكمة كانت صورية، بكل ما تحمله هذه الكلمة من معانٍ عدلية. فالمحكمة العسكرية ليست الجهة الصالحة لمحاكمة الصحافيين. ثمّة محكمة اسمها «محكمة المطبوعات»، هي المختصة بالنظر في جرائم النشر والقول. لكن المحكمة العسكرية قررت وضع يدها على القضية، امتثالاً لأمر قائد الجيش، لا أكثر. ولم يُخفِ شحادة في الأشهر والأسابيع الماضية واقع أنه ينفّذ أمراً عسكرياً، لا إجراءً قانونياً. تحدّث عن الإحراج أمام رئيسه، كونه ضابطاً مُطالباً بالدفاع عن هيبة المؤسسة التي أهدرتها كلمة (كلمة واحدة لا أكثر) خرجت من فم صحافي كان يعلّق على واحدة من أكبر الكوارث في تاريخ العاصمة.

ثالثاً، ثمة شيء من «الخصومة» بين الزميل مرتضى ورئيس المحكمة العسكرية، نتيجة الكتابة عن عدد من المخالفات التي ترتكبها المحكمة الاستثنائية، وآخرها قبل 9 أيام (يوم 18 تشرين الثاني 2021)، في تقرير نشرته «الأخبار» عن «تبرئة «عرّاب» تفجيرات انتحارية بوساطة سياسية ـ دينية». وحمّل مرتضى مسؤولية الحكم لرئيس المحكمة شخصياً. رئيس محكمة يحترم الحدّ الأدنى من أصول العدالة، كان ينبغي أن يتنحّى عن متابعة النظر في الدعوى المقامة من قائد الجيش شخصياً ضد الصحافي نفسه، بجرم المسّ بهيبة المؤسسة العسكرية. هذا عدا عن أن

(هيثم الموسوي)

نقابة المحرّرين:
مخالفة لاختصاص محكمة المطبوعات

استغربت نقابة محرري الصحافة اللبنانية، في بيان أصدرته ليل أمس، «صدور حكم غيابي عن المحكمة العسكرية بحبس الزميل رضوان مرتضى بما يخالف اختصاص محكمة المطبوعات، وهي المحكمة الخاصة بالنظر في جميع القضايا المتعلقة بجرائم المطبوعات وفقاً لأحكام المادة 28 من المرسوم الاشتراعي الرقم 104 /77 المعدّل بالقانون الرقم 330 بتاريخ 18 /1994 الذي ألغى التوقيف الاحتياطي في جرائم المطبوعات وعقوبة حبس الصحافيين من معظم أحكامه».

وأعلنت النقابة تكليف مستشارها القانوني المحامي أنطون الحويس «درس هذا الملف وإمكان الطعن به وسلوك طرق المراجعة القانونية في شأنه»، رافضة أن «يشكل هذا القرار سابقة. ولن تسكت النقابة عن أيّ استهداف أو ظلامة بحق الإعلاميين».

المحكمة كانت ملزمة بإعلان عدم اختصاصها النظر في جرائم القول والنشر، لأنها تدخل في الاختصاص الحصري لمحكمة المطبوعات. لكنها محكمة استثنائية في بلد أول من يخالف القانون فيه، هم المؤتمنون على تطبيقه.

لكن... من الواجب عدم تضييع الوجهة. هذا الحكم لم يُصدره العميد منير شحادة، بل أصدره العماد جوزيف عون شخصياً. ومشكلة الأخير معنا في «الأخبار»، ومع الزميل رضوان، الوطني في قانون الانتخابات، مقابل أننا نقول ما لا يقوله الآخرون، اعتاد عون التطبيل حيثما كان، واعتاد أنّ كلمته، كما كلمة «مكتب القائد»، لا تُردّ، وخاصة في الإعلام.

تقرير

أطلق برنامج «هازوت التدفئة» لمئات آلاف العائلات
نصرالله: الضغوط في مجزرة الطيونة استهتار بالشهداء وبنا

رأى الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله أن ما جرى في اليومين الماضيين من تسريح واستنسابية في ردّ طلبات كفّ يد المحقق العدلي طارق البيطار «يؤكد كل ما تحدّثنا عنه خلال عام عن ممارسة الجهات القضائية المعنية الاستنسابية وخضوعها للسياسة»، متهماً «بعض القضاء اللبناني» بأنه «يحمي بعضه البعض ويعمل على تضييع المسؤولية التي يقع جزء منها على عاتق بعض القضاة». وكرّر أن «المسار القضائي الحالي في قضية المرفأ استنسابي ولن يوصل إلى الحقيقة».

وفي كلمة متلفزة ليل أمس، تطرق نصر الله إلى التحقيقات في مجزرة الطيونة التي قضى فيها سبعة شهداء الشهر الماضي على أيدي مسلحي القوات اللبنانية في الطيونة، محذراً من «تعرض القضاء العسكري لضغوط من جهات سياسية ودينية للإفراج عن موقوفين في القضية، وبعضهم أطلق وبعضهم الآخر يختبئ في معراب لمنع توقيفهم». ونبّه الى أن «ضغوط الجهات السياسية والدينية على القضاء استهتار بالشهداء والجرحى وعائلاتهم وبالجهات التي ينتمون إليها، والاستمرار بالمسار الحالي خطر ويمكن أن يدفع البلد إلى الفتنة لأنه قد يدفع الأهالي إلى الأخذ بالثأر».

وكان نصر الله، في بداية كلمته، قد هنأ اللبنانيين بعيد الاستقلال، مؤكداً أن «الحفاظ على الاستقلال والسيادة والحرية معركة يجب أن تبقى مستمرة (...) واللبنانيون خاضوا أكبر معركة استقلال بمواجهة الاحتلال الإسرائيلي عام 1982 الذي كاد يقضي على سيادة لبنان وحريته واستقلاله، لأنه احتل نصف لبنان وعاصمته بيروت والقصر الجمهوري». وأضاف: «الهروب الإسرائيلي عام 2000 كان انتصاراً كبيراً لسيادة لبنان وخروجاً له من العصر الإسرائيلي. والمعركة قائمة لأن السيادة منقوصة بسبب استمرار الاحتلال الإسرائيلي لأراض لبنانية. وعندما يمنع لبنان من الاستفادة من الثروات النفطية تكون السيادة منقوصة، كما تكون منقوصة بالتدخل الأميركي في القضاء والسياسة والانتخابات النيابية، وسياتي يوم نحقق فيه جميعاً لوطننا استقلالاً وسيادة وحرية حقيقية لا نقاش فيها وغير خاضعة لوجهات النظر».

وشدّد نصر الله على أن وضع مزيد من حركات المقاومة على لوائح الإرهاب من عدة دول في العالم، وتسريع التطبيع بين بعض الدول العربية وإسرائيل، وأوقحه أخيراً المغرب، والدخول الإسرائيلي الى الشمال الإفريقي، والتهويل على كل من يؤيد المقاومة بالمال أو الدعم، وتصاعد التهديدات في أكثر من بلد... كل ذلك لن يؤثّر بالمقاومين ووعيهم وإرادتهم وداعميهم، ومهما فعلوا فلن يتمكنوا من المقاومة وعزمها وإصرارها»، مشيراً إلى أن وضع حزب الله على لوائح الإرهاب «قد تكون له علاقة بتطورات المنطقة أو بالانتخابات النيابية».

> التطورات القضائية الأخيرة تؤكد شكوكنا حول الاستنسابية

(هيثم الموسوي)

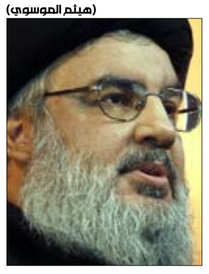

حياتياً، أعلن نصر الله أن حزب الله قرّر إعادة تفعيل خطة مواجهة كورونا مع تصاعد الإصابات، «وأقول لوزير الصحة نحن جاهزون لأي مساعدة في مختلف المجالات، ويمكنه أن يستفيد من تجربة وزير الصحة السابقة».

وفي السياق، دعا نصر الله إلى إعادة النظر في رفع الدعم عن الدواء «حتى لو تمت الاستدانة. هذه مسؤولية الجميع ولا يجوز السكوت عنها وهذا أمر له علاقة بحياة الآلاف»، مشيراً إلى أن حزب الله «سيعمل على تفعيل مراكزه الصحية ومستوصفاته، وسيحاول تأمين الأدوية في هذه المراكز». كما أكد أنه لا يجوز السكوت عن انفلات سعر الدولار، ولا يمكن للدولة أن تقول إنها لا يمكن أن تفعل شيئاً لأن لهذا الأمر مخاطر كبيرة على البلد. ما نحتاج إليه هو قرار وتحمّل مسؤولية وتدخل جريء وشجاع في وجه المحتكرين والمتلاعبين بأسعار الدولار».

وقدّم نصر الله تفاصيل عن المرحلة الأولى من توزيع المازوت الإيراني «التي بلغت «كلفة الدعم التي تحمّلناها خلالها لتأمين المازوت 10 ملايين دولار». وقال إن المرحلة الثانية لتوزيع مازوت التدفئة ستبدأ مطلع الشهر المقبل، وتتضمن تقديم المادة مجاناً للمؤسسات الإنسانية التي استفادت منه مجاناً في المرحلة الأولى لمدة شهر واحد، أما التوزيع على العائلات فسيعتمد «معيار البلدات والمدن الواقعة فوق سطح البحر بـ 500 متر، وسيقدم للعائلات المقيمة في هذه البلدات ويشمل جميع المواطنين في كل المناطق، وسيتم بيع برميل المازوت للعائلة بأقل من السعر الرسمي بمليون ليرة والدفع بالليرة، ومئات آلاف العائلات بحسب إحصائياتنا ستستفيد من هذا المشروع»، شارحاً آلية التوزيع التي ستعتمد لذلك.

(الأخبار)

تقرير

محاولة لتصحيح المشهد القضائي والانتخابي
تقدّم الوساطة بين التيار وأمل

قرارات القضاء الأخيرة في ملف انفجار مرفأ بيروت نقلت النقاش بين القوى السياسية المعنية الى مستوى جديد، يقوم على فكرة «موازنة الضغوط القائمة على القضاء بضغوط سياسية لمنع استمرار المشكلة».

وبحسب مصادر سياسية، فإن حزب الله باشر وساطة سياسية وحواراً مكثفاً بين حلفائه، ولا سيما الرئيس نبيه بري والرئيس ميشال عون، من أجل تنظيم الخلافات بين الطرفين حول ملفات متعددة، بما يسمح بتسويات تمنع أخذ البلاد الى مواجهة كبيرة عشية الانتخابات النيابية.

وعلمت «الأخبار» أن الاتصالات «تستهدف إحياء تسوية سبق أن طرحت قبل أسبوعين بين حركة أمل والتيار الوطني الحر لحلّ أزمة ملف التحقيقات والعودة الى الحكومة. وهي تقوم على تفهم مطالب التيار الوطني في قانون الانتخابات، مقابل تأمين التيار النصاب القانوني في جلسة خاصة لمجلس النواب تعيد ملف ملاحقة الرؤساء والوزراء في قضية المرفأ الى المحكمة الخاصة بهم ووقف ملاحقتهم من قبل المحقق العدلي القاضي طارق البيطار».

ومع أن الأجواء كانت إيجابية، لكن بدا أن الرئيس بري لم يكن في وارد «إعطاء هدايا مجانية»، علماً بأن التعديلات المقترحة على قانون الانتخابات «لا تضرّ» بري وقواعده الانتخابية في لبنان أو على صعيد الاغتراب.

وعلم أن الاتجاه هو نحو «قبول المجلس الدستوري بالطعون المقدّمة من التيار الوطني الحر في ما يتعلق بتقريب المهل وحصر اقتراع المغتربين بالنواب الستة، في مقابل تأمين التيار نصاب جلسة لمجلس النواب يقرّ فيها بصلاحية المجلس الأعلى لمحاكمة الرؤساء والوزراء، ما يمنع استدعاء النواب المدعى عليهم ومحاسبتهم أمام القضاء العدلي».

على أنّ ما لا يزال محل متابعة هو ما إذا كان حضور نواب التيار الجلسة سيقتصر على توفير النصاب، أم أنهم سيصوّتون مع إحالة القضية الى المجلس الأعلى؟

وكانت القرارات القضائية التي صدرت قبل يومين ووفّرت مزيداً من الحماية للقاضي البيطار، قد أحدثت صدمة لدى أصحاب الدعاوى، بعدما ردّت الهيئة العامة لمحكمة التمييز

> البحث في تسوية لقبول الطعن في قانون الانتخاب واسترداد المجلس صلاحية «محكمته»

دعاوى مخاصمة القضاة (مداعاة الدولة)، المقدمة من رئيس الحكومة السابق حسان دياب والوزير السابق نهاد المشنوق ضد البيطار، والمقدمة من الوزيرين السابقين علي حسن خليل وغازي زعيتر ضد رئيسة الغرفة الخامسة لمحكمة التمييز جانيت حنا (ومستشاريها القاضيين نويل كرياح وجوزف عجاقة)، ورئيس الغرفة الأولى لمحكمة التمييز ناجي عيد (ومستشارته القاضية روزين غنطوس). ثم كلّفت القاضي عبيد النظر في دعاوى ردّ البيطار، لتكون قد بتّت بطلب تعيين المرجع المقدّم من الوزيرين زعيتر وخليل، فضلاً عن قرار القاضية رندة كفوري برد دعوى الارتياب المشروع المقدّمة من الوزير السابق يوسف فنيانوس ضد البيطار، وقبول دعوى نقابة المحامين ضد المحامي العام التمييزي القاضي غسّان خوري، فكفّت يد الأخير بانتظار البتّ بدعوى الارتياب المشروع.

وإلى جانب الجهود السياسية، علمت «الأخبار» أن الفريق المتضرّر لن ينسحب من الساحة القضائية، وأن الوكلاء القانونيين للرئيس دياب والنائب المشنوق في صدد تقديم مراجعات جديدة.

(الأخبار)

قضية اليوم

رهان «غير واقعي» على زيارة ماكرون للرياض

هل هناك تمايز إماراتي ـ سعودي في لبنان؟

رغم محاراتها في بعض الإجراءات على خلفية «أزمة القرداحي»، إلا أن الإمارات لا تزال تضمر سياسة متمايزة عن سياسة السعودية في لبنان. دافعها الأهم هو العامل الاقتصادي. لذا تتصرف بأسلوب يصفه البعض بـ«الواقعي». بينما تذهب الرياض أكثر الى التشدد ما يجعل التعويل على الدور المصري وزيارة الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون مبالغاً فيه

ميسم رزق

يعود زوّار السعودية بانطباعات مختلفة تماماً عما بدأ يتردّد أخيراً عن بداية تحوّل في موقف الرياض من الأزمة الأخيرة. الجميع ينتظرون زيارة الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون للرياض بداية الشهر المقبل، ويراقب آخرون تحركات واجتماعات غير علنية تجرى في القاهرة، مع تداول «معلومات» عن أن العاصمة المصرية تقترب من فتح كوّة في الجدار السعودي ـ اللبناني، وأن المملكة ستستفيد منها لتخفيف حجم التصعيد الذي استوجبه افتعال الأزمة مع لبنان. وتردّد، أيضاً، أن الرياض ستبدأ بالتراجع عن بعض الإجراءات التي اتخذتها، ولا سيما الاقتصادية منها، ولعلّ هذا الاطمئنان مصدره رهان على خرق فرنسي، لكنه رهان لا يبدو واقعياً بحسب شخصيات على تواصل مع المسؤولين السعوديين الذين يتحدثون عن مشكلة «أولى» بين وليّ العهد محمد بن سلمان وماكرون نفسه، وهي مشكلة تحتاج الى علاج قبل أن يتحوّل ماكرون الى وسيط بين السعودية ولبنان.

التسريبات الواردة من الرياض تُفيد بأن «الموقف السعودي لم يتبدّل»، ونُقِل عن مسؤولين فرنسيين زاروا العاصمة السعودية تحضيراً لزيارة ماكرون، أنهم فوجئوا بـ«رفض سعودي مطلق للبحث في الملف اللبناني». وتوافرت معلومات لدى جهات لبنانية على اتصال بالسعوديين تؤكد أن العنوان المقبل للسياسة السعودية هو «القرار 1559» والتركيز على نزع سلاح حزب الله. أما أصدقاء مصر في لبنان، فيتحدثون عن سعي القاهرة للقيام بدور لا تملك ثمنه. ولا يُتوقّع أن ترفض الرياض مبدأ الوساطة، لكنها ستسأل عن الضمانات. وعليه، يؤكد هؤلاء ومعهم العارفون بأحوال المملكة أنها ستزيد من تشدّدها. لكن الدور المصري يبقى أساسياً في ظل عدم قدرة العواصم الخليجية على القيام بأي دور من شأنه إغضاب الرياض، وعدم وجود حماسة أميركية لـ«مبارزة» ابن سلمان من بوابة الملف اللبناني. لكن الأمر يظل رهن ما يحققه الأميركيون في تواصلهم مع السعوديين لتتمكن مصر من الدخول مباشرة الى الملف. من يؤكد على استمرار تشدّد الموقف السعودي، يعزو ذلك الى مؤشرات عدة؛ بينها:

أولاً، فشل المحاولات السعودية في الأشهر الماضية في فرض وقائع ميدانية في اليمن تعطيها حصة من التسوية في المنطقة. وبالتالي فإنها لن تبيع الورقة اللبنانية بأبخس الأثمان.

ثانياً، أصبح السعوديون أكثر توتراً بعد الموقف اللبناني من التصعيد الخليجي. إذ لم تتوقّع الرياض تعاملاً لبنانياً متماسكاً. صحيح أن هذا الموقف حمل حرصاً على العلاقة مع دول الخليج، لكنه بقي حازماً. وبالتالي، فإن تلقّف السعوديين فقدانهم جزءاً من هيبتهم على الساحة اللبنانية يشعرهم بأن عليهم التشدد أكثر.

ثالثاً، وهو العنصر الجديد المتعلق بما يطلق عليه اليوم «التمايز الإماراتي». إذ يبدو للجميع أن هناك اختلافات بين أبو ظبي والرياض حول ملفات شائكة مثل اليمن وسوريا. صحيح أن الإمارات لن تدخل في مواجهة مع السعودية، وهي تقف الى جانبها في الموقف من الأزمة اللبنانية، إلا أن ذلك لا يخفي أن للإمارات مشروعاً مختلفاً»، حيث تظهر «واقعية» تعكس فشل رهاناتها السابقة، وهي تحاول فتح صفحة جديدة، سواء مع سوريا، التي زارها أخيراً وزير الخارجية الإماراتي عبد الله بن زايد، وإيران، التي أعلن وزير خارجيتها عن اتفاق على فتح صفحة جديدة بين البلدين عقب لقاءات بين مسؤوليها، فضلاً عن تركيا التي تقاطعت مصالحها مع استئناف العلاقة مع الإمارات برغم الخلاف الكبير بين الجانبين حول «الإخوان المسلمين». وتتّجه الإمارات لإطلاق استثمارات في تركيا وتوقيع اتفاقيات في عدّة مجالات. أضف الى ذلك الانزعاج شبه العلني من جانب الرياض بانفراد الإمارات الدخول في مشروع «الماء مقابل الكهرباء» مع الأردن و«إسرائيل»، بشكل أثار حفيظة الرياض التي أعلنت قبل شهر عن مبادرة «الشرق الأوسط الأخضر» من ضمن رؤية المملكة 2030 للبيئة والتنمية المستدامة.

يرى مقربون من أبو ظبي أن الإمارات تريد أن يكون لبنان من ضمن سلة التفاهمات الجاري العمل عليها. وإذا كانت قد اتخذت بعض الإجراءات تضامناً مع المملكة على خلفية تصريحات وزير الإعلام جورج قرداحي، فإنّ إجراءاتها بقيت مقبولة بالنسبة الى دول خليجية أخرى كالكويت، على سبيل المثال. ويقول هؤلاء إن «الإمارات سايرت السعودية في ما خصّ الرئيس سعد الحريري». لكن المصالح الإماراتية في لبنان تستدعي منهم عدم الذهاب بعيداً في معاداة لبنان، فـ«أهم دافع لدخول الإمارات على الساحة اللبنانية هو الدافع الاقتصادي، وهي تعلم أن مشاريعها تحتاج الى ترتيب الجو المؤاتي، ولا سيما إن كانت تتعلق بقطاع النفط والغاز، مع ما يُحكى عن إمكانية دخول شركات إماراتية على الخط في قانون الانتخاب المعدّل المطعون فيه. على غرار ما حدث عام 2013، يوم «تسرّب» مضمون تقرير المقرّر الأول إلى إبطال قانون تمديد ولاية مجلس النواب، لا يعود مهماً انتظار مذاكرة المجلس الدستوري، المؤلف على صورة المرجعيات التي عيّنته أو انتخبته، وعلى صورة انقسام هؤلاء حيال قانون الانتخاب المعدّل.

العنوان المقبل للسياسة السعودية هو «القرار 1559» والتركيز على نزع سلاح حزب الله (هيثم الموسوي)

ذلك ما يشير إليه الترابط الوثيق بين التحقيق في انفجار المرفأ ومال حكومة الرئيس نجيب ميقاتي، كما بينهما وانتخابات 2022. لا الحكومة قادرة على إطاحة البيطار، ولا على فرض إقصاء وزير الإعلام جورج قرداحي من صفوفها ما لم يفعل هو بالذات. وهو إثبات ثان، بعد أحداث الطيونة والمطالبة بإطاحة البيطار، على أن الثنائي الشيعي وحده يمسك بمفتاح التئام مجلس الوزراء وتعطيله. كلا رئيس الجمهورية ورئيس الحكومة غير قادرين على فرض انعقاده، ولا على إرغام الوزراء على الانصياع إليهما.

لديهما أيضاً مشكلتهما. يختلفان على مقاربة مصير قرداحي: الرئيس ميشال عون يفضّل أن يستقيل من تلقائه، وهو لن يقبل بطرح إقالته في مجلس الوزراء لئلا يُستشم من هذا الإجراء أنه يستجيب ضغوطاً خارجية ليست الأولى ولن تكون الأخيرة. بدوره ميقاتي لا يفاضل بين الاستقالة والإقالة. ما يعنيه خروج الوزير من حكومته. استكمال إقفال الحلقة الصغيرة هذه، أن قرداحي سمع من رئيس البرلمان نبيه برّي أن الاستقالة صارت وراء الجميع، وصفحة طويت نهائياً. بذلك تتراكم كل الردود المطالبة بكفّ يده، ما عنى لدى الثنائي الشيعي أن لا يتزحزح عن شرطه وربط التئام الحكومة بفرض استجابته. ليست هذه الحلقة الوحيدة العالقة، المهدّدة للحكومة والانتخابات النيابية فحسب. ليس ثمة ما يؤكد حصول الاستحقاق المقبل، مهما يكن موعده، قبل الوصول إلى موعد «تسريب» مضمون التقرير المفترض أن يُعدّه عضو المجلس الدستوري المكلف إياه. مفاد ذلك أن مصير الانتخابات لا يتوقف على قرار المجلس الدستوري ونصاب اجتماعه بثمانية أعضاء، للتأكد مما سيقوله في قانون الانتخاب المعدّل المطعون فيه. على غرار ما حدث عام 2013، يوم «تسرّب» مضمون تقرير المقرّر الأول إلى إبطال قانون تمديد ولاية مجلس النواب، لا يعود مهماً انتظار مذاكرة المجلس الدستوري، المؤلف على صورة المرجعيات التي عيّنته أو انتخبته، وعلى صورة انقسام هؤلاء حيال قانون الانتخاب المعدّل.

> لم يعد معلوماً تمام العلم من أين يمكن العثور على ثغرة جديّة في الحلقة المقفلة المستعصية: إن لم يُقل المحقق العدلي في مرفأ بيروت طارق البيطار، لا جلسة لحكومة الرئيس نجيب ميقاتي، وإن لم تجتمع فلا انتخابات نيابية في مهلتها القانونية

نقولا ناصيف

يكمن استعصاء الحلقة المقفلة في أن الأفرقاء جميعاً ضالعون فيها، إلى حدّ أن أحداً منهم لا يسعه بعد الآن الخروج من الحلبة، ولا التنازل لآخر، ولا القبول بالهزيمة. في المقابل، يصعب مع هذا الضلوع، إلى الآن على الأقل، إيجاد تسوية ترضي الجميع في آن، وتخرجهم من مأزقهم.

أول من أمس، وقف القضاء إلى جانب المحقق العدلي في انفجار مرفأ بيروت طارق البيطار، ورفض أسباب تعطيل حكومة ميقاتي المدعوة إلى إنجازات ثلاثة متلازمة في ولايتها القصيرة: الإصلاحات والتحقيق في انفجار المرفأ وإجراء الانتخابات النيابية. بيد أن أياً منها لم يحرز التقدّم المجدي منذ نيلها الثقة في 20 أيلول.

الإضافة الجديدة في مكامن المشكلة، هذه المرة وهي ليست الأولى لكنها الأوضح والأكثر انقشاعاً، أن المؤسسات الدستورية هي التي تتولى تعطيل نفسها بنفسها، وتعطب استحقاقاتها. هذه المرة المؤسسات الدستورية كالقضاء والمجلس الدستوري المفترض أنهما صاحبا الاختصاص غير المسيّس، كما هو عليه مجلس النواب ومجلس الوزراء، هي التي تخرّب في منحيين مغايرين: القضاء - وتحديداً الهيئة العامة لمحكمة التمييز - عندما «يخرّب» ما يتوخاه بعض السياسيين من أجل إقفال ملف انفجار مرفأ بيروت نهائياً، وتالياً معاقبة البيطار وطرده منه و«عفا الله عما مضى وحصل». فإذا قرار القضاء معاكساً الإرادات تلك، يرفض مخاصمة الدولة ويغرّم طالبي الردود، ويحمي المحقق العدلي.

والمجلس الدستوري الحائر كيف «يخرّج» ما يريده سياسيون ولا يريده سياسيون آخرون. المطلوب منه، عند فريق، في معرض نظره في قانون الانتخاب المعدّل، تحديد

> «تسريب» مضمون تقرير المجلس الدستوري، لا المذاكرة، يحدّد سلفاً مصير الانتخابات

الغالبية الحالية في مجلس النواب بوفاة 12 نائباً، من أجل أن يقود تفسيره هذا إلى إبطال التصويت الأخير على قانون الانتخاب في مجلس النواب في التعديلات الدستورية لا تزال نفسها رغم تناقص النواب كما نصت عليها المادة 57، وهي الأعضاء الذين يتألف منهم مجلس النواب قانوناً. يطالب هذا الفريق المجلس الدستوري أيضاً بإبطال الفقرة الجديدة المشابهة لما ورد في قانون الانتخاب 2017/40 (تصويت الاغتراب للدوائر الـ15 الوطنية) وفرض اقتراع هؤلاء للدائرة المحدثة الـ16 بضم ستة نواب قاريّين إلى البرلمان الحالي كي يرتفع عدده إلى 134 نائباً.

لكن ثمة ما هو مطلوب آخر من المجلس نفسه، عند فريق آخر، متمسك بالإبقاء على التصويت القاري للدوائر الوطنية. بغالبيته الحالية، أبقى البرلمان على فقرة 2017 (اقتراع المغتربين في الدوائر الـ15)، ويعوّل على تعذّر التئام المجلس الدستوري كي يصير إلى نفاذ القانون المطعون فيه. في مغزى هذا الإصرار تأكيد كسب مجلس النواب، وبالذات رئيسه، جولته على رئيس الجمهورية عندما رفض ردّه القانون، وكسب الجولة المكملة بإحباط الطعن المقدّم من حزب الرئيس. ليس خافياً أن الثنائي الشيعي، بحسب ما تروّج أوساطه، هو الأكثر سيطرة على ناخبي الاغتراب داخل طائفته، والأصوات التفضيلية المجيرة التي تضمن له فوز مرشحيه جميعاً.

المفارقة أن المجلس الدستوري، أياً يكن قراره، لن يرضي أحداً من فريقي النزاع الداخلي في ضوء الأرقام الجديدة للمسجلين، غير المتوقعة: لا الذين يتمسكون بتصويت المغتربين على الدوائر الوطنية، ولا الذين يتمسكون بتصويتهم للمقاعد الستة المحدثة. ما يجعلهم في كلتا الحالين أمام احتمال تعطيل نصابه. وهو أسهل الخيارات نظراً إلى انقسام الأعضاء العشرة في المجلس الدستوري على أربعة أقرباء اختصروا القوى السياسية وطوائفهم في أن: رئيس الجمهورية ميشال عون وتكتل لبنان القوي، والثنائي الشيعي (الرئيس نبيه برّي) والرئيس سعد الحريري والنائب السابق وليد جنبلاط. ثلاثة من هؤلاء حداً أدنى يمنع نصاب التئام المجلس الدستوري واتخاذ قراره بعد المذاكرة.

يوم أقر مجلس النواب في 19 تشرين الأول تعديل قانون الانتخاب، كان عدد المسجلين في الاغتراب دون مئة ألف بكثير، بالكاد اقترب من 50 ألفاً فيه. في مغزى هذا الإصرار تأكيد كسب مجلس النواب، وبالذات رئيسه، جولته على رئيس الجمهورية عندما رفض ردّه القانون، وكسب الجولة المكملة بإحباط الطعن المقدّم من حزب الرئيس. ليس خافياً أن الثنائي الشيعي، بحسب ما تروّج أوساطه، هو الأكثر سيطرة على ناخبي الاغتراب داخل طائفته، والأصوات التفضيلية المجيرة التي تضمن له فوز مرشحيه جميعاً.

المفارقة أن المجلس الدستوري، أياً يكن قراره، لن يرضي أحداً من فريقي النزاع الداخلي في ضوء الأرقام الجديدة للمسجلين، غير المتوقعة: لا الذين يتمسكون بتصويت المغتربين على الدوائر الوطنية، ولا الذين يتمسكون بتصويتهم للمقاعد الستة المحدثة. ما يجعلهم في كلتا الحالين أمام احتمال تعطيل نصابه. وهو أسهل الخيارات نظراً إلى انقسام الأعضاء العشرة في المجلس الدستوري على أربعة أقرباء اختصروا القوى السياسية وطوائفهم في أن: رئيس الجمهورية ميشال عون وتكتل لبنان القوي، والثنائي الشيعي (الرئيس نبيه برّي) والرئيس سعد الحريري والنائب السابق وليد جنبلاط. ثلاثة من هؤلاء حداً أدنى يمنع نصاب التئام المجلس الدستوري واتخاذ قراره بعد المذاكرة.

يوم أقر مجلس النواب في 19 تشرين الأول تعديل قانون الانتخاب، كان عدد المسجلين في الاغتراب دون مئة ألف بكثير، بالكاد اقترب من 50 ألفاً فيه. في مغزى هذا الإصرار تأكيد كسب مجلس النواب، وبالذات رئيسه، جولته على رئيس الجمهورية عندما رفض ردّه القانون، وكسب الجولة المكملة بإحباط الطعن المقدّم من حزب الرئيس. ليس خافياً أن الثنائي الشيعي، بحسب ما تروّج أوساطه، هو الأكثر سيطرة على ناخبي الاغتراب داخل طائفته، والأصوات التفضيلية المجيرة التي تضمن له فوز مرشحيه جميعاً.

المفارقة أن المجلس الدستوري، أياً يكن قراره، لن يرضي أحداً من فريقي النزاع الداخلي في ضوء الأرقام الجديدة للمسجلين، غير المتوقعة: لا الذين يتمسكون بتصويت المغتربين على الدوائر الوطنية، ولا الذين يتمسكون بتصويتهم للمقاعد الستة المحدثة. ما يجعلهم في كلتا الحالين أمام احتمال تعطيل نصابه. وهو أسهل الخيارات نظراً إلى انقسام الأعضاء العشرة في المجلس الدستوري على أربعة أقرباء اختصروا القوى السياسية وطوائفهم في أن: رئيس الجمهورية ميشال عون وتكتل لبنان القوي، والثنائي الشيعي (الرئيس نبيه برّي) والرئيس سعد الحريري والنائب السابق وليد جنبلاط. ثلاثة من هؤلاء حداً أدنى يمنع نصاب التئام المجلس الدستوري واتخاذ قراره بعد المذاكرة.

في الواجهة

أيّهما يطيح انتخابات 2022: المرفأ أم المجلس الدستوري؟

تقرير

انتخابات نقابة الصيادلة: الأحزاب في كل مكان

يخوض الصيادلة غداً انتخابات نقابتهم بأربع لوائح أساسية. صحيح أن أحزاب السلطة، هذه المرة، ليست ظاهرة الا في لائحة «الضمير المهني» التي يرأسها النقيب الأسبق زياد نصور. الا أن ذلك لم يمنع من أن تكون حاضرة في اللوائح الثلاث المتبقية. وإن «من تحت الطاولة»

رأفا نا حمية

أربع لوائح تخوض، غداً، الانتخابات في نقابة صيادلة لبنان لإيصال نقيب و17 عضواً (11 عضواً إلى مجلس النقابة واثنان إلى المجلس التأديبي و4 إلى صندوق التقاعد). قبل يوم من الاستحقاق، لا يبدو واضحاً بشكل كافٍ أمام المرشحين والداعمين لمن ستكون الغلبة. إذ يُجمع الكل على أن ثمة معركة آتية، مدفوعة برغبة لدى بعض الصيادلة بالتغيير، معطوفاً عليها يأس بعض آخر من الأحزاب والسلطة بسبب ما آلت إليه أوضاعهم مع الأزمة الاقتصادية.

لكن الرغبة بالتغيير التي تضفي نفساً جديداً على الاستحقاق ليست بالحجم الذي يمكن أن يحدث انقلاباً في الموازين، خصوصاً إذا ما أخذت في الاعتبار «الخروقات» الحزبية والسياسية لمعظم اللوائح. ولئن كانت لائحة «الضمير المهني» التي يرأسها زياد نصور الأكثر وضوحاً لناحية الدعم الحزبي الذي تحظى به (حزب الله وحركة أمل وتيار المستقبل والحزب السوري القومي الاجتماعي)، تلقى اللوائح الثلاث المتبقية دعماً من أحزاب أخرى، وإن بطريقة غير معلنة، إذ غالباً ما تكون لـ«أحزاب حساباتها عقب إعلان الفوز.

إلى حين الاستقرار على الصورة النهائية، ترسم كل لائحة صورتها وصورة تحالفاتها وتوقعاتها. وفي هذا السياق، يخوض فرج سعادة الذي يرأس لائحة «صيادلة ينتفضون» معركته بـ«لائحة مستقلة وخطاب واضح يدعو إلى استقلالية الجسم الصيدلاني عن التحالفات غير الطبيعية التي بنيت بلوائح أخرى». وهو يضع نفسه ولائحته في «نقطة وسطية من جميع السياسيين». ويعتبر أن الأساس في لائحة «الصيادلة ينتفضون» كان «المشروع الذي على أساسه اختير الأشخاص وليس العكس».

من جهته، ينطلق المرشح ناجي جرمانوس الذي يرأس لائحة «نحو نقابة مستقلة» من «مضمون اللائحة التي فضّلنا أن تجمع صيادلة مستقلين وأحراراً في قرارهم بعيداً من الأحزاب، انطلاقاً من أن الأحزاب هي التي توجه هذه المرة وإنما كل صيدلي سيطبق خياراته»، مستنداً في ذلك إلى استطلاع للرأي قام به أحد الأحزاب وأظهر «حلولي أولاً ومن ثم زياد نصور». كما يعوّل سلوم على «تحرره» من الأحزاب، بعدما استبق ترشيحه إلى النقابة بـ«التنازل» عن صفته الحزبية في الكتائب.

لائحة «الضمير المهني» التي تحظى بدعم أربعة أحزاب، ينطلق رئيسها زياد نصور من كونه «مستقلاً مدعوماً من الأحزاب»، مؤكداً أن ترشيحه سبق دعم الأحزاب له، و«هذه نقطة تحتسب» له برأيه في المعركة التي يخوضها للمرة الثالثة، إذ سبق أن وصل إلى مركز النقيب مرتين متتاليتين، ما عدا المرات الكثيرة التي كان فيها ممثلاً في مجلس النقابة.

بغض النظر عن حسابات ما قبل «الصندوق»، يرسم صيادلة متابعون للانتخابات الصورة كما يعرفونها باعتبارهم من أهل النقابة. ويستدل هؤلاء على بعض التحالفات التي لم تبرز إلى العلن استناداً إلى الأسماء المرشحة ضمن اللوائح. ولئن كان هؤلاء يؤكدون أن لائحة نصور «ليست لائحة الأحزاب وإنما مدعومة منها»، يلفتون إلى أن الأحزاب تتوزع بين اللوائح الثلاث الأخرى. إذ إن «حزب القوات اللبنانية يدعم اللوائح الثلاث، وكذلك الحال بالنسبة للتيار الوطني الحر، من أجل أن يعلن كل منهما فوزه في حال خسر نصور». وفي التفاصيل، «يدعم التيار والقوات والكتائب وبعض الشيعة من خارج جو حزب الله وحركة أمل لائحة نقابتي سندي، كما يدعم التيار والقوات لائحة صيادلة ينتفضون، ويدعم بعض الشيعة فرج سعادة لا اللائحة، أما لائحة نحو نقابة مستقلة التي تحظى بأصوات من التيار الحر والقوات فتجمع داعمين من مطاريد الأحزاب، مثل زياد الدامرجي (مستقبل سابقاً) وزاهي كنج (حزب الله سابقاً) وجورج صيلي (تيار حر سابقاً) وأيهم الأحمر...».

> الرغبة بالتغيير ليست بالحجم الذي يمكن أن يحدث انقلاباً في الموازين

ومن المفترض أن يخوض الصيادلة انتخاباتهم على مرحلتين، يجري في الأولى اختيار أعضاء المجالس، وفي الثانية انتخاب النقيب. ويحصر البعض المعركة بين أسماء ثلاثة: نصور وسلوم وسعاده، مرجّحين كفة المرشحين الأولين، فيما من المتوقع أن يكون جرمانوس الحلقة الأضعف، لضعف الأصوات المسيحية الداعمة له». أما نصور فيحظى بفائض قوة حزبي وقد ينال نحو 1200 صوت غير مسيحي، وهو رقم لا بأس به، انطلاقاً من أن من سيصوتون «سيراوح عددهم بين 2500 و3000 صوت». وهي نسبة درجت عليها العادة في استحقاقات سابقة، على رغم أن عدد من يحق لهم الاقتراع بناهز 8 آلاف صيدلي.

(هيثم الموسوي)

ملف

حمزة الخنسا

أميركا في المأزق اليمني: كيف نوقف «السائق المخمور»؟

لم يَعُد الخلاف السعودي - الأميركي حول كيفية إنهاء الحرب في اليمن، خافياً. صحيح أن الطرفين يشتركان في القلق من تحوّل هذا البلد، رسمياً، إلى قاعدة لمايُسمّيانه «النفوذ الإيراني»، مع ما يعنيه ذلك من تداعيات جيوسياسية في منطقة بالغة الأهمّية الاستراتيجية، إلّا أنهما يفترقان عند حدود مآبات يمكن تحقيقه بعد ستّ سنوات ونيّف من حربٍ أُريد منها شيء، وأفضت إلى شيء آخر مختلف تماماً. من وُجهة نظر الولايات المتحدة، فإن السقف الذي يمكن العمل عليه اليوم هو الخروج من المأزق بأقلّ الخسائر الممكنة، مع الضغط على حركة «أنصار الله» لانتزاع ضمانات تقي السعودية أيّ تبعات مستقبلية لسيطرة الحركة على اليمن. لكن المملكة، التي قادت الحرب كـ«سائق مخمور»، لا تزال، في المقابل، تعتقد أنه بمزيد من الدعم الأميركي، وبنوع من المساومات مع الخصم الإيراني، يمكن إجبار قيادة صنعاء على تقديم تنازلات كبرى لم يَعُد الميدان يدفع في اتّجاهها بأيّ حال من الأحوال. ومن هنا، لا يجد الحليف الأميركي، وفقاً ما تُظهره وثائق صادرة عن مؤسّسات رسمية في الخليج اطّلعت «الأخبار» على نُسَخ منها، بدّاً من السعي لإقناع السعودية بطرْق بديلة قد تفتح بوّابة الحلّ. من مِثل اتّخاذ خطوات أحادية «إيجابية» تجاه «أنصار الله»، سواءً في الميدان أو في السياسة، بما يكفل إقناع الحركة، من وجهة نظر واشنطن، بالجلوس إلى طاولة التفاوض

راهن السعوديون، من دون نتيجة، على موقف أميركي حازم يقلب المعادلة لصالح قوى مأرب (أ ف ب)

في وقت كانت فيه أزمة الوقود في الولايات المتحدة تتفاقم بسرعة بفعل الارتفاع الحادّ والمقلق في أسعار المحروقات والذي بلغ نحو 40%، كان الرئيس الأميركي، جو بايدن، يُبدي في اجتماع «مجموعة العشرين» الشهر الماضي، أسفه لفشل كبار منتجي النفط في العالم في ضخّ المزيد من النفط الخام للمساعدة في خفض الأسعار، ملقياً اللوم في ذلك، خصوصاً، على كلّ من روسيا والسعودية. لاحقاً، اضطرّ بايدن لإعلان البدء بالسحب من الاحتياطي الاستراتيجي للبلاد،

> **تعتقد واشنطن بحسب الوثائق ان هناك «فرصة وإنْ غير سهلة» لإنهاء الحرب في اليمن**

بعد أن رفضت المملكة، الزعيم الفعلي لـ«أوبك»، وأكبر مصدّر للنفط في العالم، التزحزح عن موقفها الرافض لزيادة الإنتاج، أو على الأقلّ إعادته إلى مستواه المعتاد.

ظاهِر الأمر، وفق ما تُجادل به «أوبك+»، أن العالم سيواجه قريباً تخمة جديدة في المعروض، وأن من الضروري تحقيق التوازن بين العرض والطلب. لكن الحقيقة، من جانب السعودية على الأقلّ، قد تكون في ما عبّر عنه وزير الطاقة، عبد العزيز بن سلمان، في تصريح مطلع الشهر الجاري، عندما قال إن النفط «ليس هو المشكلة»، بل هو، في الحقيقة التي لم ينطق بها الوزير، مظهر من مظاهر تعكّر العلاقات بين الحليفَين، والذي يحمل إدارتها بتكليف أو تنسيق أميركيَّين أو حتى تجد نفسها معنيّة بها، بدءاً من الملفّ النووي الإيراني وليس انتهاءً باليمن. في هذا الإطار، وعلى رغم أن واشنطن والرياض تتشاركان النظرة إلى إيران بوصفها «أخطر تهديد عسكري» في المنطقة، وفق ما أظهره بحسبهما الهجوم على منشأتَي «أرامكو» السعودية في بقيق وخُريص في أيلول 2019 والذي أدّى إلى تعطيل ما يقرب من نصف إنتاج المملكة من النفط لعدّة أسابيع، إلّا أن إدارة بايدن لا تزال تُظهر ميلاً للعودة إلى الاتفاق النووي الموقّع عام 2015، الأمر الذي من شأنه، إذا ما تَحقّق، أن يؤدي إلى تعميق الخلافات السعودية - الأميركية.

أمّا بخصوص اليمن، الذي كان تعهّد بايدن في حملته الانتخابية بوضع حدّ للحرب فيه، فإن ما تُظهره المعطيات المتواترة بشأنه منذ إطلاق الإدارة الجديدة عملها الدبلوماسي على هذا الخطّ، يُظهر أن ثمّة ارتباكاً أميركياً في التعامل مع مَن سمّاه أحد كبار المسؤولين الأميركيين السابقين «السائق المخمور» الذي لا تزال الولايات المتحدة «راكبة معه في السيّارة نفسها» (التعبير أورده روبرت مالي وستيفن بومبر في مقالة سابقة في «فورين أفيرز»). إذ إن الولايات المتحدة توصّلت، على ما يبدو، إلى قناعة بضرورة العمل على إخراج السعودية من المأزق اليمني بأقلّ الخسائر الممكنة، لا بأكبر المكاسب الممكنة، والتي بات متعذّراً تحقيقها في ظلّ موازين القوى الميدانية والعسكرية الحالية. لكن المشكلة أن المملكة لا تزال تعتقد أن بإمكانها، بالتحايل الدبلوماسي وإدامة الحصار والتعبئة، ركْس وقائع الميدان لصالحها. ولعلّ هذا التباين تجلّى بوضوح في الاجتماع الذي ضمّ مستشار الأمن القومي الأميركي، جيك سوليفان، إلى ابن سلمان في الرياض في أيلول الماضي (في أوّل تواصل أميركي رفيع المستوى مع الرجل منذ وصول بايدن إلى البيت الأبيض)، حيث وُصف اللقاء بأنه «الأسوأ على الإطلاق». ومع أن تلك الخطوة أعقبتها، في الشهر الجاري، موافقة وزارة الخارجية الأميركية على أوّل صفقة كبيرة لبيع الأسلحة للسعودية تحت قيادة بايدن، تشمل 280 صاروخ جو - جو، إلّا أن ذلك بدا في إطار سياسة «العصا والجزرة» التي تستهدف ترويض ولي العهد، والدفع نحو إنزاله عن الشجرة بالأدوات التي لا تجعله في موقع المنهزم مكتمل الأوصاف (وهو ما يجعل الجهود الأميركية، إلى الآن، غير ذات جدوى، بالنظر إلى أنها لا تزال تنصب سقفاً عالياً ترفضه «أنصار الله»).

بحسب وثائق مصنّفة ضمن خانة «سرّي للغاية» صادرة عن مؤسّسات رسمية في دول خليجية، اطّلعت «الأخبار» على نسخ منها، فإن الارباك يكاد يمثّل السمة العامة التي تحكم علاقة السعودية مع كلّ من الفريق الأميركي الذي يتولّى الهندسة السياسية والعسكرية للمعركة في اليمن، من جهة، والفريق اليمني الموالي لها، والمتمثّل في حكومة عبد ربه منصور هادي، من جهة أخرى. إذ تُظهر الوثائق استياء واشنطن من طلب الرياض مساعدة دول أوروبية في تعزيز دفاعاتها الجوية ضدّ الهجمات الصاروخية لقوّات صنعاء، واعتبارها أن هناك «فرصة وإنْ غير سهلة» لإنهاء الحرب في اليمن. كما تُظهر أن المبعوث الأميركي الخاص إلى اليمن، تيموثي ليندركينغ، لمس خلال زيارته الأخيرة إلى الرياض، استعداد السعودية لإنهاء الحرب، إلا أن «التخريجة» لا تزال موضع تباين بين الأميركيَين والسعوديَين؛ حيث يسعى الأخيرون إلى جني مكاسب من الأميركيين والإيرانيين، قبل الركون إلى الحلّ النهائي، فيما تعتقد الولايات المتحدة أن مهمّة مبعوثها إلى اليمن تنحصر في دعم جهود المبعوث الأممي لوقف الحرب والانتقال إلى المحادثات السياسية، وليس البحث عن أفكار جديدة. ووفقاً للوثائق نفسها، فإن نائب وزير الدفاع السعودي، خالد بن سلمان، المُمسِك بالملفّ اليمني، يقود جهوداً بعيدة عن الأضواء بما يتماشى مع الرؤية الأميركية، ولعلّ هذا ما يفسّر التغيّرات التي ظهرت لاحقاً على أكثر من جبهة، في مأرب وتعز والحديدة وحجة. كذلك، تبيّن الأوراق «السرّية» حجم الخلاف داخل المعسكر اليمني الموالي للتحالف السعودي - الإماراتي من ناحية، وبين كلّ من أطراف هذا المعسكر وبين السعودية من ناحية ثانية، ووسط إشارات لافتة إلى ضغط أميركي على الرياض من أجل تقديم الدعم لجنوب اليمن، لتعزيز «الاستقرار» فيه، الأمر الذي يبدّد الغموض حول الكثير من التحوّلات على الساحة الجنوبية في الآونة الأخيرة.

السعودية في «شرَكٍ» حلفائها نأمرهم فلا يطيعون!

لم يَعُد الحديث عن الخلاف بين قيادة التحالف السعودي - الإماراتي، وبين الأفرقاء اليمنيين الموالين له، يثير أيّ دهشة أو يحمل أيّ مفاجآت. إلّا أن الاطّلاع على بعض من تفاصيل «الأوامر» الموجّهة من «التحالف» إلى مَن يُفترض أنهم «رفاق سلاح»، بل و«إكراههم» على تنفيذها، يمكن أن يوضح خلفيّات الكثير من التطوّرات التي دفعت بشخصية من وزن الشيخ حميد عبد الله الأحمر، إلى اعتبار العلاقة بين الطرفين «مهينة». منذ البداية، بدت هذه العلاقة هجينة إلى حدّ كبير؛ فلا المناطق التي أعلن «التحالف» أنه «حرّرها» من قبضة «أنصار الله»، تمكّنت «الشرعية» من العودة إليها، ولا هو استطاع تثبيت نوع من الاستقرار فيها. على عكس ذلك، سريعاً نشبت الخلافات البَينية، وانقسمت ولاءات الأفرقاء بين السعودية والإمارات، وصولاً إلى ولادة «المجلس الانتقالي الجنوبي» الذي حمل لواء أبو ظبي في الجنوب. وفيما صارت الفصائل المتناحرة تتنازع السلطة والنفوذ والأدوار، وجدت السعودية والإمارات نفسيهما تتعاملان بـ«القطعة» مع كلّ من «الانتقالي» وحزب «الإصلاح» و«الجيش الوطني» الموالي للرئيس المنتهية ولايته عبد ربه منصور هادي، بحسب مقتضيات المرحلة وحاجة المشروع، وهذا ما أدّى أيضاً إلى توتّرات وصدامات ميدانية.

في هذا السياق، تَكشف الوثائق التي اطّلعت «الأخبار» على نُسَخ منها، عن فحوى لقاء جمع ولي العهد السعودي، محمد بن سلمان، مع مسؤولين خليجيين، في 15 أيلول 2019، على ضوء التأزّم آنذاك بين حكومة هادي و«الانتقالي»، والذي دفع الأولى إلى الطلب من سفرائها في الخارج التحرّك لإدانة موقف الإمارات وتحميلها مسؤولية ما يجري في الجنوب، سواءً عبر دعوة الأمانة العامة لجامعة الدول العربية إلى تبنّي مشروع قرار معدّل في قمّة تونس، لا يورد أسماء الدول «الداعمة لليمن» حتى لا تُذكر الإمارات، أو حضّ مجلس الأمن الدولي على عقد جلسة لبحث «الهجوم الإماراتي على الجنوب ودعم التمرّد في عدن»، أو طرح انتهاكات القوّات الإماراتية داخل مجلس حقوق الإنسان. وبحسب الوثائق، فقد أكد ابن سلمان، في الاجتماع المذكور، أن الحوار بين «الشرعية» و«الانتقالي» يسير في «الطريق الصحيح»، وأنه شارف على صياغة اتفاق نهائي يفضي إلى تشكيل «كيان سياسي واحد» نصفه لـ«الشرعية» ونصفه الآخر لـ«الانتقالي». وهاجم ابن سلمان حكومة هادي، معتبراً أنها تحوي «الكثير من ضُبّاع الشغب الذين سيتمّ إخراجهم منها»، مشيراً بالخصوص، من دون تسمية، إلى وزيري الخارجية السابق خالد اليماني، والداخلية السابق أحمد الميسري الموالي لـ«الإصلاح». كما قلّل وليّ العهد من أهمّية التحرّكات الأميركية والروسية في مجلس الأمن بخصوص اليمن، مدرجاً إيّاها في إطار «الضجّة الإعلامية»، فيما «تسعى الدول العظمى إلى تحويل اليمن إلى أفغانستان جديدة» بحسبه. مع ذلك، نجحت السعودية لاحقاً، في تشرين الأول 2021، ومن ورائها الولايات المتحدة، في إلغاء مشروع قرار قدّمته هولندا إلى مجلس الأمن لتمديد مهمّة فريق الخبراء الدوليين للتحقيق في جرائم الحرب في اليمن لمدّة عامين إضافيَّين. وعلى رغم أن كلام ابن سلمان حول تقاسم السلطة بين الحلفاء اليمنيين أعقبه، بالفعل، توقيع «اتفاق الرياض» في تشرين الثاني 2019، إلّا أن الاتفاق المذكور ظلّ متعثّر التنفيذ مذّاك، وصولاً إلى الفترة الأخيرة حيث بدا أن ثمّة محاولة لإعادة ترتيب صفوف المعنيّة به، على قاعدة تحجيم نفوذ «الإصلاح» لصالح أفرقاء آخرين. ولعلّ تلك المحاولة هو ما تنبي به التحوّلات الأخيرة في الخارطة الميدانية، سواءً لناحية انسحاب الميليشيات الموالية للإمارات من محيط مدينة الحديدة، أو لناحية إعادة التموضع السعودية - الإماراتية في محافظة شبوة.

في الإطار نفسه، تكشف وثيقة أخرى أن نائب وزير الدفاع السعودي، خالد بن سلمان، الذي يقود جهوداً بعيدة عن الأضواء لوقف الحرب بما يتماشى مع الرؤية الأميركية، طلب في 23 آذار 2021 وقْف العمليات على الجبهات الرئيسة، وتحديداً في مأرب وتعز وحجة، حيث تمّ إبلاغ وزير الدفاع في حكومة هادي، الفريق محمد المقدشي،

> **دائماً ما يقابل رفْض الأوامر السعودية بإيقاف الإمدادات العسكرية والتغطية الجوية عن «الحلفاء»**

بأوامر الأمير. لكن المقدشي أبلغ المسؤولين السعوديين الذين نقلوا إليه الأوامر بأن «قيادات الجيش يرفضون وقف المعارك»، معتبرين ذلك «خيانة لتضحياتهم»، ليأتي الردّ السعودي سريعاً بإيقاف الإمدادات العسكرية والتغطية الجوية في تعز خصوصاً، منذ آذار المنصرم. وبحسب الوثيقة نفسها، فقد عبّرت قيادات يمنية موالية للرياض عن استيائها من تغييب الرئيس المنتهية ولايته عن الاتصالات الجارية لوقف الحرب. وفي سياق تلك الاتصالات، أبلغت مصادر متابعة، «الأخبار»، بأن مسؤولين سعوديين مكلّفين بإدارة الشأن اليمني تواصلوا أخيراً مع المبعوث الأممي إلى اليمن، السويدي هانز غروندبرغ، عبر جهات وسيطة، محاولين إحياء مقترح «الحلّ المجتزأ»، وهو ما رفضته حركة «أنصار الله»، حتى قبل أن تتسارع التطوّرات في محيط مدينة مأرب لصالحها. وتوضح المصادر أن الحركة تقود المعركة على الجبهات المتعدّدة بشكل «منفصل ولكن متناسق»، وبالتالي فقد «تمّ وضع خطط وترتيبات خاصّة بكلّ جبهة»، مذكّرة بأن الحركة كانت قد «نصحت» غروندبرغ، أثناء لقاء سابق في مسقط، بأن «يتخطّى الجميع ملفّ مأرب»، والبدء بالتفكير بمرحلة ما بعدها.

واشنطن للرياض: «الحوثيون» لن يتراجعوا... فتّشوا عن طرق أخرى

تقود «أنصار الله» المعركة على الجبهات المتعدّدة بشكل «منفصل ولكن متناسق» (أ ف ب)

يشكّل اليمن نقطة تقاطع مهمّة للمصالح والرؤى الاستراتيجية بين الولايات المتحدة والسعودية. ولكن، بعد أكثر من ستّ سنوات على بدء الحرب من أجل تحقيق هدف معلَن هو «هزيمة أنصار الله» و«تثبيت سلطة الحكومة الشرعية»، ثبُت العكس بين واشنطن والرياض. إذ لم يتحقّق أيّ من الهدفَين المذكورَين، بل إن المعركة آلت إلى خَلْق واقع سياسي - عسكري - اقتصادي جديد في الإقليم، ساهم في تكثير التباينات بين الحليفين التاريخيَين، وأفضى إلى تقليص الطموح السعودي إلى حدود إبرام اتفاق يضمن أمن المملكة الحدودي ويحمي أراضيها من الهجمات الصاروخية. مع ذلك، وفي ظلّ تدحرج كرة الحرب إلى جبهة مأرب، ووصولها أخيراً بقوّات صنعاء إلى ما لا يبعد أكثر من كيلومترات قليلة عن مركز المحافظة، ظلّ السعوديون يراهنون على موقف أميركي حازم يقلب المشهد في المحافظة رأساً على عقب، غير مصدّقين أن موقفاً مماثلاً لن يأتي من واشنطن على أيّ حال. وهو ما أكده المساعد السابق لوزير الخارجية الأميركي لشؤون الشرق الأوسط، ديفيد شينكر، في مقال له في الرابع من الجاري، حيث كتب: «في مطلق الأحوال، من غير الوارد أن تحاول إدارة بايدن تفادي انتصار كامل للحوثيين، سواءً من خلال العمل مع السعوديين لتسليح حكومة هادي وحلفائها المحليين وتنظيمهم بشكل أفضل، أو عبر الإيعاز إلى الجيش الأميركي بالتدخّل مباشرةً».

ومن هنا، يُفهَم ما تكشفه الوثائق التي اطّلعت «الأخبار» على نُسَخ منها، لناحية سعي الولايات المتحدة لاقناع السعوديين بضرورة وقف الحرب، والكفّ عن الرهان على إمكانية تأثير طرف ثالث على «أنصار الله»، كما هو الحال في المفاوضات التي خاضوها مع الإيرانيين في بغداد. ففي لقاء ضمّ مساعد وزير الخارجية الأميركية لشؤون الشرق الأدنى بالوكالة، جودي هود، إلى دبلوماسيين خليجيين في واشنطن (وثيقة مؤرّخة بتاريخ 4 حزيران 2021)، قال هود إنه «لا شيء يؤثّر حالياً في سلوك الحوثيين حتى بعد رفع اسمهم عن قائمة الإرهاب الأميركية، وإيران قد لا تمتلك تأثيراً عليهم»، لذلك «نعتقد أن إيقاف السعودية لعملياتها والخروج من اليمن، ومن الحديدة ضمناً، سيساعد في إنهاء الحرب»، معتبراً أنه «على الرغم من صعوبة تقبّل هذا الطرح، إلا أننا نعتقد أنه التحرّك الصحيح».

وبحسب وثيقة أخرى مؤرّخة بـ21 شباط 2021، كشفت المسؤولة عن مكتب اليمن في الخارجية الأميركية، تيريز بوستيل، عقب زيارة لها برفقة المبعوث الأميركي إلى اليمن تيم ليندركينغ، إلى الرياض، أن «السعوديين يبحثون عن طريقة للخروج من الحرب في اليمن». وإذ أعربت عن قلق بلادها من تقدّم «أنصار الله» في مأرب «ما يؤدي إلى عرقلة عملية السلام»، فقد اعتبرت أن «كلفة انسحاب السعودية بشكل مفاجئ من حرب اليمن ستكون مرتفعة على الأرجح (...) سيتمدّد الحوثيون أكثر، وقد تدخل دول أخرى على مثل قطر وتركيا والإمارات إلى الساحة لانتهاز الفرصة، وقد يطول أمد الصراع». وأضافت بوستيل أن إدارة بايدن «تشعر بالسخط في ضوء ازدياد هجمات الحوثيين بعد إعلان الإدارة الأميركية رفعهم عن قائمة المنظمات الإرهابية»، وكشفت أن واشنطن «ستفرض عقوبات جديدة على شخصيات عسكرية حوثية من دون الشخصيات السياسية، كي لا تؤثّر سلباً على محادثات السلام المزمع عقدها مستقبلاً». وعلى رغم ما يُظهر أنه تناقض بين حديثَي هود وبوستيل، إلّا أنهما قد يصبّان واقعاً في الخانة نفسها، لناحية «إغراء» السعودية بضرورة إيجاد مخرج من المأزق اليمني.

ولعلّ ما يؤكد ذلك هو أنه بعد أيام قليلة على حديث بوستيل، شدّد مدير شؤون الخليج في مجلس الأمن القومي التابع للبيت الأبيض، كينيث إيفانز، خلال لقائه دبلوماسيين من دول خليجية (وثيقة مؤرّخة بـ26 شباط 2021)، على أن «هناك فرصة وإنْ غير سهلة لإنهاء الحرب في اليمن»، مشيراً إلى أن ليندركينغ زار الرياض مؤخراً و«يرى أن السعودية تريد إنهاء الحرب، وأن الحوثيين قد يكونون مستعدّين لإنهاء الحرب وفقاً لشروط من بينها فتح مطار صنعاء، فتح ميناء الحديدة، تقاسم الموارد المالية بين الحكومة المعترَف بها دولياً والحكومة التي يقودها الحوثيون في الشمال». وفيما لو يورد إيفانز أيّ تعليق سلبي حيال «الشروط الحوثية» التي تحدّث عنها، فقد رأى أنه «في حال وافقت إيران على العودة إلى المفاوضات النووية، فإنها قد تضغط على الحوثيين لأجل التهدئة»، إلا أنه أضاف أن «الحوثيين يعتقدون بأنه يمكنهم تحقيق انتصار في مأرب، لذلك لن يقدّموا تنازلات في هذه المرحلة».

وفي إضافة لافتة قد تفسّر الكثير من جوانب التباين السعودي - الأميركي في اليمن، شدّد إيفانز، بحسب الوثيقة نفسها، على أن مهمّة ليندركنغ تتمثّل في دعم جهود مبعوث الأمم المتحدة إلى اليمن (في حينه) مارتن غريفيث، لوقف الحرب والانتقال إلى المحادثات السياسية، و«ليس البحث عن أفكار جديدة». كما بدا لافتاً قوله إن بلاده ستضغط على الرياض «من أجل الموافقة على تقديم دعم لجنوب اليمن، لأن الاستقرار في الجنوب سيكون مفيداً للدول الخليجية»، واعتباره أنه «يمكن تحقيق ذلك من خلال دعم البنك المركزي بالأموال ودعم قطاعات الدولة». كذلك، تناول إيفانز موضوع الدفاعات الجوية السعودية التي طلبت المملكة عام 2019 من الدول الأوروبية المساعدة في تعزيزها ضدّ الهجمات الصاروخية، متسائلاً عن جدوى متابعة السعودية هذا الموضوع مع الأوروبيين في ظلّ استمرار الهجمات على المملكة.

> **جودي هود: نعتقد أن إيقاف السعودية لعملياتها والخروج من اليمن سيساعد في إنهاء الحرب**

فلسطين على رغم الصخب الذي تحيط به مصر عملها على إعادة إعمار ما دمّره العدوان الإسرائيلي في قطاع غزة، إلا أن ما تمّ إنجازه على الأرض حتى الآن يكاد لا يتجاوز حدود رفع الركام، وهو ما تعدّه مصادر فلسطينية تأخيراً «متعمّداً»، يستهدف الضغط على حركة «حماس» لخفض سقف مطالبها

«السلاحف» المصرية في غزة
إعمارٌ على مهلٍ... حتى تتنازل «حماس»

غزة ـ **رجب المدهون**

بعد ستّة أشهر على انتهاء معركة «سيف القدس» في أيار الماضي، لا تزال عجلة الإعمار في قطاع غزة تسير ببطء شديد، في ظلّ تلكّؤ مصري عن إدخال المواد اللازمة لبدء تنفيذ مشاريع معلن عنها سابقاً بقيمة نصف مليار دولار (بما فيها ثلاث مدن سكنية جديدة)، وعرقلةٍ من قِبَل السلطة الفلسطينية التي رفضت تحويل الأموال القطرية والكويتية لانطلاق العملية. وبحسب مصادر فلسطينية مطّلعة تحدّثت إلى «الأخبار»، فإن المصريّين لم يقدّموا حتى الآن أكثر من 5% من تعهّداتهم، فيما تركّز جهدهم على رفع الركام من دون الشروع في التشييد، خصوصاً في شارع البحر الشمالي الذي مهّدته الجرّافات المصرية، بلا أيّ خطوة لاحقة. وتلفت المصادر إلى أن ما يتطلّب إنجازُه يوماً يستغرق مع العمّال المصريين أسبوعين أو أكثر، مضيفة أن المعدّات المصرية التي تعمل في القطاع تتكفّل حكومة غزة بتوفير الوقود لها، بالإضافة إلى أماكن مبيت العمّال وطعامهم. وتَصِف ذلك التأخير بـ«المتعمّد»، عادّة إيّاه «ورقة ضغط على حركة حماس لخفض سقف مطالبها، خاصّة في ملفّ الجنود الأسرى الذي تضعه دولة الاحتلال كشرط لانطلاقة كبيرة في عملية الإعمار». وعلى رغم الانزعاج الذي أبدته الحركة أمام المصريّين خلال المباحثات الأخيرة،

> **يجد القطريون والكويتيون أيضاً صعوبة في الإيفاء بتعهّداتهم بسبب تعنّت السلطة**

إلّا أنها لم تحصل على ردّ مقنع بهذا الخصوص، فيما تُواصل القاهرة الترويج إعلامياً للعملية، من دون أن يكون هناك فعل حقيقي على الأرض. بدورهم، يجد القطريون والكويتيون صعوبة في الإيفاء بتعهّداتهم، وذلك في ضوء موقف السلطة الفلسطينية التي رفضت عدّة مرّات خلال الأشهر الأخيرة تحويل أموالهم لصالح العائلات المُدمّرة منازلها، باستثناء اتفاق عقده السفير القطري، محمد العمادي، الأسبوع الماضي، مع رام الله، سُمح بموجبه للعائلات الفلسطينية باستلام الدفعة الأولى من أموال الإعمار.

لم يقدم المصريون حتى الآن أكثر من 5٪ من تعهداتهم (أ ف ب)

إلى ذلك، كشف وكيل وزارة الأشغال العامّة والإسكان في قطاع غزة، ناجي سرحان، أن مصر تعتزم بناء 3 مدن سكنية «الأولى شمالي القطاع وتضمّ 500 وحدة سكنية، والثانية في الشمال أيضاً وتضمّ 700 وحدة، وأمّا الثالثة ففي منطقة الزهراء وسط القطاع وتضمّ 1500 وحدة». وأشار سرحان إلى أن المصريين استلموا الأراضي التي ستُبنى عليها المدن، مضيفاً أنهم بدأوا بالعمل في تعبيد شارع الرشيد، وذلك كمرحلة أولى، فيما تفكّر الحكومة المصرية في إنشاء جسرين، الأوّل في منطقة الشجاعية شرقي غزة، والثاني في منطقة السرايا وسط المدينة. إلّا أن سرحان لم يُشر إلى سبب تأخّر المصريين في عملهم على الرغم من قدرتهم على إنجازه بسرعة، مكتفياً بذكر وعودهم فقط. وبحسب المسؤول الفلسطيني، فقد «قُدّمت منح مالية كدفعة أولية، للدفعة الأولى من المواطنين الذين دُمّرت منازلهم بشكل كلّي، الأربعاء، وذلك للبدء في عملية إعمار منازلهم». وإذ أفاد بأن «قيمة الأضرار الجزئية بلغت نحو 42 مليون دولار، وحتى الآن يوجد تعهّدات بـ20 مليوناً، ما يعني أن 50 في المئة من الأضرار الجزئية تحت التعويض»، فقد أوضح أن وزارته لا تستلم الأموال من المانحين، إنّما تذهب مباشرة إلى المُتضرّرين. ولفت إلى أن حكومة غزة بدأت بإصلاحات مؤقّتة للطرق وشبكات المياه والصرف الصحّي والكهرباء، لضمان تقديم الخدمة للمواطنين، فيما قدّمت خطّة للجهات المانحة لإعادة الإعمار، بقيمة 3,8 مليارات دولار، تشمل الأضرار المباشرة وغير المباشرة، والمشاريع الاقتصادية التي تُعيد الحياة إلى القطاع. يُشار إلى أن العدوان الإسرائيلي الأخير على غزة أدى إلى تدمير 1335 منشأة سكنية بشكل كامل أو بليغ، فيما لحق الضرر المتوسط والجزئي بحوالى 12 ألف و886 منزلاً، بحسب المكتب الإعلامي الحكومي.

العراق

الانتخابات في دوّامة اللغط: سيناريو إلغاء النتائج يتقدّم

تتوالى المفاجآت المتّصلة بنتائج الانتخابات العراقية، منذرةً بإمكانية نسفها كلّيّاً نتيجة تكاثر اللغط حولها، في حال لم يسارع الأطراف المعنيّون إلى إبرام تسوية قانونية وسياسية ترضي الجميع. وبينما برزت تسريبات للشركة المشرفة على فحص التطبيقات الانتخابية، تُظهر مشكلات اعترت عملية التصويت، تجدّد التوتّر بين البعثة الأممية من جهة و«الإطار التنسيقي» من جهة أخرى، وسط توجّه الأخير إلى مزيد من التصعيد

بغداد ـ **أشرف كريم**

على رغم مرور أكثر من 40 يوماً على انتهاء الانتخابات النيابية المبكرة التي أُجريت في العراق في الـ10 من تشرين الأوّل الماضي، لا يزال الجدل حول نتائجها مستمرّاً حتى هذه اللحظة. وفي محاولة لاحتواء التصعيد الذي بداه فريق المعترضين على النتائج منذ أكثر من خمسة أسابيع بتظاهرات أمام بوّابات المنطقة الخضراء، حضرت مبعوثة الأمم المتحدة، جينين بلاسخارت، اجتماعاً مشتركاً لقوى «الإطار التنسيقي» في التاسع عشر من تشرين الثاني الحالي، حيث بدا الاجتماع مختلفاً بمضامينه عن الاجتماعات السابقة بين الطرفين؛ كون بلاسخارت تسلّمت خلاله ما قال قادة «الإطار التنسيقي» إنها «عشرات الدلائل على التلاعب بنتائج الانتخابات»، لتتعهّد المبعوثة الأممية، إثر ذلك، بعرْض ما تسلّمته في إحاطتها أمام مجلس الأمن. إلّا أنه، ولدى حلول موعد الإحاطة المذكورة، امتنعت بلاسخارت عن تنفيذ تعهّدها، بل ومضت في التأكيد أن «الانتخابات أُجريت في ظروف آمنة ونزيهة»، مطالبةً الخاسرين بـ«تقبّل النتائج واحترامها وفق السياقات القانونية لمنع انزلاق البلد نحو الفوضى».

هذا الموقف أثار سخط قادة «الإطار التنسيقي»، وجدّد الاتهامات للبعثة الأمميّة بأنها «جزء من مؤامرة لإقصاء أطراف سياسية لحساب أخرى»، فيما رأت فيه الكتل الفائزة عاملاً محفّزاً للمُضيّ في تشكيل حكومة غالبية. وفي هذا الإطار، يوضح مصدر مطّلع، في حديث إلى «الأخبار»، أن «بلاسخارت تظهر منذ مدّة تناقضاً بين ما تجريه من حوارات في الداخل، وما تبعثه من تقارير إلى الجهات الدولية ذات العلاقة»، واصفاً ما قامت به أخيراً بأنه «محاولة لإثارة الفتنة». ويلفت إلى أن «مسؤولة البعثة الأممية هي مَن طلبت اللقاء مع قادة الإطار التنسيقي، وحثّتهم على تقديم الأدلّة بشأن العملية الانتخابية وما شابها من خروق، وأعلنت تفاجؤها بهذه الأدلّة». وبنتيجة تنصّل بلاسخارت من وعدها بعرض تلك «الشواهد» أمام مجلس الأمن، علمت «الأخبار»، من مصادر مطّلعة، أن «الإطار التنسيقي سيرسل وفداً يرأسه رئيس الوزراء الأسبق، حيدر العبادي، إلى الأمم المتحدة من أجل تقديم الدلائل على تزوير الانتخابات». وكشفت المصادر أن «من بين الدلائل التي ستُقدَّم إلى الأمين العام للأمم المتحدة، أنطونيو غوتيريش، تسجيلاً كاملاً لجلسة الحوار التي حصلت بين أمين عام عصائب أهل الحق الشيخ قيس الخزعلي وبلاسخارت»، مضيفة أن «بلاسخارت طلبت لقاء زعيم تحالف الفتح هادي العامري ليلة الخميس الماضي، من أجل إقناعه بثنْي أطراف الإطار التنسيقي عن هذه الخطوة».

تجدّدت الاتهامات للبعثة الأممية بأنها «جزء من مؤامرة لإقصاء أطراف سياسية لحساب أخرى» (أ ف ب)

في هذا الوقت، عمّقت التسريبات المتعلّقة بتقرير شركة «Hensoldt» الألمانية، والمشرفة على فحص تطبيقات العملية الانتخابية العراقية، جراح الأزمة الأخيرة، بعد أن تسلّمت مفوّضية الانتخابات التقييم النهائي من قِبَل الشركة، والذي يُظهر أن بصمات أصابع الناخبين لم تُحمل في أجهزة التحقّق، وأن عدداً منها لم يظهر أصلاً في أجهزة بصمة الناخب، وهو ما منع عدداً من المواطنين من الإدلاء بأصواتهم لعدم امتلاكهم بطاقات بايومترية واعتمادهم على الإلكتروني، في مخالفة لقانون الانتخابات الجديد. كما تعذّر على الشركة الألمانية، بحسب التقرير، التحقيق في ما إذا كان مقياس التحقّق من البصمات متوافقاً مع البرامج العالمية، علماً أن أجهزة التحقّق جرى تحديث برمجياتها الخاصة بعيداً من إشراف «Hensoldt». ومن بين المشاكل التي ذكرها التقرير أيضاً، أن أجهزة تسريع النتائج تغيّرت برمجياتها في 22 أيلول و10 تشرين الأول، على رغم أن الشركة أوصت بتغيير البرمجيات لكلّ النظام الانتخابي قبل 6 أسابيع من الاقتراع. أمّا برنامج عرض النتائج فلم يكن جزءاً من عقد «Hensoldt»، بل تمّ اقتراحه من قِبَل بعثة الأمم المتحدة.

> **عمّقت التسريبات المتعلّقة بتقرير شركة «Hensoldt» الألمانية جراح الأزمة الأخيرة**

ألمانيا

ألمانيا تدخل عهداً جديداً «ميركلية» بلا ميركل

أخيراً كشف أولاف شولز من «الحزب الديموقراطي الاشتراكي» (يسار الوسط)، النقاب عن ائتلاف يجمع حزبه مع «الخضر» (وسط)، و«الحزب الديموقراطي الحر» (يمين الوسط)، يمنحه الأكثريّة في البرلمان الألماني، لتشكيل الحكومة الجديدة وتولّي منصب المستشار الألماني، خلفاً لانجيلا ميركل. وعلى الرغم من الغلاف البرّاق الذي قُدّم فيه التحالف الثلاثي للناخبين، إلّا أنّ الجميع في برلين متّفقون على أن «الاستمرارية» هي السقف النهائي للحكومة الآتية، وأنها بكل الأحوال ستدير نسقاً آخر محدّثاً شكلاً من «الميركليّة» الباهتة، وأن من دون ميركل

لندن ـ **سعيد محمّد**

بعد الكثير من الترقّب، منذ الانتخابات الألمانيّة العامّة التي جرت نهاية شهر أيلول الماضي، تقدّم أولاف شولز من "الحزب الديموقراطي الاشتراكي" (يسار الوسط)، ومعه ممثّلو حزبَي "الخضر" (وسط) و"الديموقراطيون الأحرار" (يمين ليبرالي مؤيّد صريح لقطاع الأعمال)، أمام الكاميرات، يوم الأربعاء، للإعلان عن اتفاق بين الأطراف الثلاثة تمّ التفاوض عليه في غرف مغلقة، خلال الأسابيع القليلة الماضية، لتشكيل حكومة تحظى بالغالبيّة البسيطة، الكافية لنيل الثقة في البوندستاغ (البرلمان الألماني).

وبحسب المعلومات الأوليّة، فإنّ ائتلاف إشارة المرور هذا (كناية عن ألوان الأحزاب الثلاثة المنخرطة فيه، الأحمر والأصفر والأخضر)، سيدعم تولّي شولز منصب المستشار الألماني (رئيس الوزراء)، خلفاً لانجيلا ميركل، فيما سيحظى حزب "الخضر" بمنصبين وزاريين مهمّين، من بينهما الخارجيّة، على أن تُترك حقيبة الماليّة لـ"الديموقراطيين الأحرار".

وكان "الحزب الديموقراطي الاشتراكي"، بقيادة شولز، قد تقدّم بفارق ضئيل في الانتخابات على "حزب الاتحاد الديموقراطي المسيحي" الحاكم (يمين الوسط)، من دون الحصول على نسبة تصويت كافية لتشكيل حكومة، منفرداً. ولذلك، كان بناء ائتلاف ثلاثي الحلّ الوحيد الممكن، لجمع أصوات كافية تضمن الحصول على ثقة البرلمان. واضطرّ شولز (الذي يتولّى منصب وزارة الماليّة ميركل، منذ أربع سنوات) إلى قضاء الأسابيع القليلة الماضية، في السعي للتوصّل إلى اتفاق مع "الخضر" و"الحزب الديموقراطي الحر" اليميني، لإنشاء غالبية في "البوندستاغ". وهذه هي المرة الأولى، منذ الخمسينات، التي يشكّل فيها ثلاثة شركاء حكومة ألمانيّة.

وحاول شولز، بشكل غير مقنع، تقديم الاتفاق الثلاثي الموقّع في 177 صفحة، على أنّه دقّقة من طاقة جديدة في روح سياسة الجمهورية الفيدرالية، ولكنّ العالمين بداخل السياسة الألمانيّة يدركون تماماً أن شولز هو ابن المؤسّسة السياسية ذاتها التي حكمت خلال الأعوام الـ16 الماضية، بقيادة ميركل، وتولّت إدارة إنقاذ بنوك أوروبا من أزمتها الخانقة، في عام 2008، على حساب أسوأ سياسة تقشّف عمّقت من انعدام العدالة في المجتمعات، ليس في ألمانيا فحسب، وإنّما عبر الاتحاد الأوروبي، وأجّلت إلى ما لا نهاية تنفيذ إصلاحات استراتيجية ضروريّة لمستقبل البلاد، ناهيك بالطبع عن تكريسها التبعيّة للولايات المتحدة الأميركيّة، والانخراط في مخطّطاتها حول العالم، من أفغانستان إلى سوريا.

ولعلّ أخطر إشارة إلى طبيعة سياسة الائتلاف، وتناقُض توجّهات أطرافه، استقطابه للنيوليبراليين في حزب "الديموقراطيين الأحرار"، والتوافق على تسليمهم وزارة الماليّة، ما يعني أنّه من غير المرجّح أن يقدر شولز وحكومته على تقديم حلول حقيقيّة لمشاكل ألمانيا المتصاعدة، مع توسّع عدم المساواة – تضاعف عدد المليارديرات في عهد ميركل من 69 بدايته، إلى أكثر من 200، مع نهايته – وتعمُّق العنصرية، واستمرار تفشّي وباء "كوفيد - 19" داخليّاً، أو الخروج قيد أنملة عن طوع واشنطن خارجيّاً.

وأقرّ شركاء الائتلاف بوجود اختلافات بينهم، ولكنّهم قالوا إنّهم وجدوا أرضية مشتركة كافية للعمل معاً على سياسات وخطط ترمي إلى التغلّب على انعكاسات الوباء، وزيادة الحدّ الأدنى للأجور، ووضع ألمانيا على طريق الإقلاع عن الوقود الأحفوري وتوسيع الاعتماد على مصادر الطاقة المتجدّدة، من دون المساس بربحيّة الصناعات. وستواجه الحكومة الجديدة، على الفور، قائمة ملحّة من الأزمات التي لا تنتظر، بما في ذلك موجة جديدة متعاظمة من الوباء، وأزمة اللاجئين على الحدود بين بيلاروسيا وبولندا، إضافة إلى الضغوط العسكريّة الروسيّة على أوكرانيا، ومطالبات واشنطن بالتحاق مواقف عدائيّة تجاه الصين.

ومن المتوقع أن يؤدّي شولز اليمين الدستورية كمستشار، في أوائل الشهر المقبل. ويقول خبراء إنّه نجح في إقناع الناخبين باختياره خليفة لميركل، من خلال تقمُّص شخصيّتها وتبنّي سياساتها، وتقديمه نفسه كخادم أمين لمصالح النخبة الألمانيّة الحاكمة. كذلك، اتّهمه معلّقون بأنّه يقف مثلها في المؤتمرات الصحافيّة، ويقلّد تعبيرات وجهها، وهو تجنّب، بالفعل، الظهور بهالة المنتصر،

> **ستواجه الحكومة الجديدة على الفور قائمة ملحّة من الأزمات التي لا تنتظر**

أثناء تقديمه الائتلاف الجديد، فيما يتوقّع الجميع استمراره في تنفيذ السياسات النيوليبراليّة التي تمرّس في إدارتها، في مناصبه الحكومية والعامّة، في ظلّ إدارة ميركل. وطوال عشرين عاماً في السياسة الألمانيّة، تنقّل شولز ما بين اليسار واليمين، ولذا فإنّ الميركليّة الباهتة ناسبته تماماً، لا سيّما في دوره الحالي وزيراً للماليّة. وقبل ذلك، كان شولز جزءاً من آخر حكومة لـ"الحزب الديموقراطي الاشتراكي"، بقيادة غيرهارد شرودر، في التسعينيات، والتي أدخلت "إصلاحات" اقتصاديّة أضعفت برامج الرعاية الاجتماعية لأكثر الفئات ضعفاً، وسهّلت جموداً طويلاً لأجور العمّال الألمان. وكعمدة لهامبورغ، في عام 2017، قبل شولز بشنّ هجوم وحشي من قِبَل الشرطة على المتظاهرين خارج اجتماع "قمّة الدول العشرين" في المدينة.

ومن الوجوه الجديدة التي يُتوقّع تولّيها مناصب وزاريّة مهمّة، أنالينا باربوك، زعيمة حزب "الخضر"، ومرشّحته لمنصب مستشار ألمانيا في الانتخابات العامّة. ومن المرجّح أن تخيّب باربوك آمال أولئك المتفائلين بمواجهة تقدّمية للسياسة الخارجية الألمانية، إذ تبنّت مواقف صقوريّة خلال الانتخابات، وقدّمت خطاباً تصادمياً، سواء في موقفها تجاه القوى التي تريد الولايات المتحدة معاملتها كدول معادية، مثل الصين وروسيا، أو من خلال دعوتها إلى أن تُعظّم ألمانيا التزامها المالي والمادي في "حلف شمال الأطلسي" (الناتو). وقد أعربت، بوضوح، عن معارضتها للتعاون التكنولوجي في مجال الاتصالات والمعلومات مع الشركات الصينيّة، متذرّعة بأسباب أمنية. كما تريد من برلين أن تتبنّى نهجاً أكثر تشدّداً تجاه روسيا، الأمر الذي قد يدفع، بالمحصلة، أوروبا بمجملها إلى أتون الحروب، لو وافقتها الحكومة الجديدة.

وبالإضافة إلى باربوك، سيتولى هابيك سيدير، الزعيم الآخر لحزب "الخضر" وزارة كبرى تجمع بين الاقتصاد والمناخ، مهمّتها تنفيذ سياسات خضراء، من دون المساس بربحيّة القطاع الصناعي الألماني العملاق.

ولعلّ الجانب الأكثر إثارة للقلق في ائتلاف إشارة مرور شولز، هو التعيين المحتمل لكريستيان ليندنر، زعيم "الديموقراطيين الأحرار"، وزيراً للمالية. وكمنظّر أيديولوجي للسوق الحرّة، سوف يتطلّع ليندنر إلى ترسيخ السياسات النيوليبراليّة بشأن الإنفاق العام والرعاية الاجتماعية، والتي نفّذتها ميركل عبر حكوماتها المتعاقبة، ومن المؤكّد أنّه سيعرقل أيّ فكرة لرفع سقف الاقتراض لتمويل القطاع العام، أو زيادة الضرائب على مصالح الأعمال والأثرياء، حتى لو قرّر شولز، في وقت ما، اتّخاذ مثل تلك الخطوات تحت أيّ ظرف - وهو أمرٌ غير متوقّع من المستشار الجديد على أيّ حال.

إذن، ستدخل ألمانيا عامها الجديد في عهد حكومة جديدة، سقفُها "الاستمرارية"، وعلى أفضل الأحوال، نسقاً محدّثاً من "الميركليّة" الباهتة ذاتها، من دون ميركل بالطبع، ولكن بمستشار متلوّن يرتدي قناعها.

بحسب المعلومات فإن ائتلاف إشارة المرور هذا سيدعم تولي شولز منصب المستشار الألماني (أ ف ب)

العالم
الحدث

تجمع انتخابي لأنصار «التجمع الوطني الديموقراطي الجزائري» (أ ف ب)

يتوجّه نحو 24 مليون ناخب جزائري، اليوم، إلى مراكز التصويت لاختيار ممثّليهم في المجالس المحلّية، في ثالث انتخابات يُدعى إليها الجزائريون، منذ وصول الرئيس عبد المجيد تبون إلى الحُكم. وتُمثّل هذه الانتخابات، بالنسبة إلى السلطة، آخر محطّات «الإصلاح السياسي»، في شقّه المتعلّق بتجديد المجالس المنتخَبة الموروثة من عهد عبد العزيز بوتفليقة

الجزائريون إلى الصناديق مجدّداً
انتخابات محلّية برهانات سياسية

الجزائر ـ **محمد العيد**

عادةً ما تختلف النظرة في الجزائر إلى الانتخابات المحلّية مقارنةً بالتصويت لاختيار أعضاء البرلمان، كون الأولى تفرز رؤساء البلديات وأعضاء المجالس البلدية والولائية (المحافظات)، المسؤولين مباشرة عن العلاقة مع المواطنين، والذين تُعدّ وظيفتهم خدمية أكثر منها سياسية. لذا، يفضّل كثير من الجزائريين التصويت للمرشّحين في هذه الانتخابات، بغضّ النظر عن الأحزاب التي ترشّحوا في صفوفها، وهو ما يبعد هذا الاستحقاق قليلاً عن التجاذبات السياسية المرتبطة بالأيديولوجيا، ويجعل التنافس بين القوائم قائماً على استقطاب أكثر الأشخاص قدرة على جذب الأصوات، حتى وإن لم يكونوا على قناعة تامّة بأفكار الأحزاب وتوجّهاتها. وتُمثّل الدورة الحالية من الانتخابات المحلية المسار الأخير من «الإصلاحات السياسية» التي أطلقها الرئيس عبد المجيد تبون، بُعيد وصوله إلى السلطة في كانون الأول 2019، والتي تضمّنت البدء بتعديل الدستور وطرحه للاستفتاء الشعبي عاماً بعد ذلك، ثمّ تنظيم انتخابات تشريعية مبكرة بإشراف سلطة مستقلّة، وأخيراً الانتخابات المحلية التي ستُنظّم هي الأخرى عاماً قبل موعدها المفترَض. وبذا، تكون السلطة الجديدة أنجزت تجديداً كاملاً للمجالس المنتخَبة الموروثة عن عهد الرئيس الراحل، عبد العزيز بوتفليقة، والتي تطعن السلطة الحالية في مصداقيّتها كونها «ملوّثة بالمال الفاسد» الذي طغى في العهود السالفة على أجواء الانتخابات، وأدّى إلى وصول عدد كبير من رجال الأعمال المقرّبين من السلطة السابقة إلى المجالس المنتخَبة العليا، وبالتالي حصولهم على الحصانة البرلمانية.

ولعلّ أهمّ ما تريده السلطة الحالية عبر هذه الانتخابات، هو كسر حاجز المقاطعة الشعبية الكبيرة التي تميّزت بها الانتخابات الأخيرة، حيث لم يتعدّ التصويت في الاستفتاء على الدستور عتبة الـ20%، وهو ما تسلّحت به المعارضة للطعن في مصداقيّة العملية الانتخابية، التي تُصوّرها السلطة على أنها قطيعة مع ممارسات الماضي. وبحُكم طابعها المحلي، عادة ما تستقطب الانتخابات المحلية جمهوراً أكبر من الانتخابات التشريعية، ما يجعلها بمثابة فرصة للسلطة لاستعادة ثقة المواطنين، ولو نسبياً، في العملية الانتخابية، بعد النكسات الأخيرة. وقد يساعدها في ذلك، قرار المشاركة الذي اتّخذته «جبهة القوى الاشتراكية»، التي تُعدّ أقدم حزب معارض في الجزائر، وتتركّز معاقلها في منطقة القبائل التي عُرفت في الاستحقاقات السابقة، بدءاً من رئاسيات 2019، مقاطعة شاملة. وبرّر الحزب مشاركته بعد أن كان قاطع في السابق التشريعية واستفتاء الدستور، بأنه «يريد الحفاظ على الوحدة الوطنية للبلاد»، في ظلّ ظهور خطر تنظيم «الماك» الانفصالي في منطقة القبائل، والذي باتت السلطات تصنّفه على «لائحة الإرهاب».

وفي المشهد العام، لا يُتوقّع أن تتغيّر النتائج كثيراً عمّا كانت عليه في الانتخابات التشريعية الأخيرة، إذ ثمّة إلى جانب «الأحرار» الذين تحوّلوا إلى قوّة سياسية مستقلّة بذاتها، ثلاثة أحزاب كبرى مرشّحة للفوز، هي «جبهة التحرير الوطني» و«التجمّع الوطني الديموقراطي»، وهما حزبان محسوبان على «التيّار الوطني» ومنخرطان في الأغلبية الرئاسية داخل البرلمان، و«حركة مجتمع السلم» ذات التوجّه الإسلامي، والتي اختارت صفّ المعارضة بعد احتلالها المرتبة الثانية على مستوى الأحزاب في البرلمان. وبذلك، ستمثّل هذه الانتخابات، من جديد، مناسبة لأحزاب الموالاة القديمة التي عادت للهيمنة على المشهد بعد الحراك الشعبي لتوطيد حضورها، والردّ على مَن طالبوها بالانسحاب مع رحيل بوتفليقة. وهذا الواقع، هو ما تعتبره المعارضة الراديكالية مبرّراً لاستمرار مقاطعتها للمسار الانتخابي، على اعتبار أن السلطة، بحسبها، بعد أن رفضت الاستجابة لمطالب الحراك الشعبي الذي كان يدعو إلى التغيير الجذري والشامل، تُواصل إعادة الواجهة السياسية نفسها، التي سبق للجزائريين أن ثاروا ضدّها، إلى الحُكم. ومن أبرز المقاطعين، يَظهر «حزب التجمّع من أجل الثقافة والديموقراطية»، وباقي الأحزاب المنضوية في «تكتّل البديل الديموقراطي» الذي يجمع تيّارات من اليسار المعتدل وأقصى اليسار.

> تمثّل الانتخابات المحلّية آخر محطّة في مسار «الإصلاحات السياسية» التي أطلقها تبون

وعلى خلاف مواعيد مماثلة في السابق، طغت على الحملة الانتخابية هذه المرّة، الأزمة مع المغرب، بعد اتخاذ هذا البلد من الكيان الصهيوني حليفاً وشريكاً حتى في مسائل الأمن والدفاع، وهو واقع جيو استراتيجي جديد، ترى فيه الجزائر تهديداً كبيراً عليها، كونها تظلّ من بين البلدان العربية القليلة الرافضة بشكل قاطع لمسار التطبيع، والمستمرّة في دعم القضية الفلسطينية وفق خطّ ثابت منذ قيام الدولة الجزائرية المستقلّة سنة 1962. وشنّ مسؤولو الأحزاب الجزائرية هجوماً لاذعاً على النظام المَلَكي في المغرب، واعتبروا أن ما أقدم عليه يصبّ في دائرة الخيانة، كما أبدوا موافقتهم على القرار الرسمي بقطع العلاقات مع الرباط، ودعمهم قيادة الجيش في حماية الحدود الجزائرية والأمن الداخلي، في ظلّ ما تواجهه البلاد من تحدّيات خارجية.

أمّا على المستوى المحلي، فتركّزت الحملة الانتخابية على توجيه انتقادات لاذعة للسلطة الوطنية للانتخابات، والتي اتّهمها الأحزاب بـ«الإقصاء العشوائي لمرشّحيها على الشبهة فقط، ومن دون تقديم أدلّة»، وهو ما حدث مع كثير من المرشّحين الذي وجدوا أنفسهم خارج القوائم بمبرّر «اختلاطهم بالمال الفاسد»، وفق العبارة المستعملة. وعدا ذلك، طالبت العديد من الأحزاب بإعادة النظر في صلاحيات المنتخَب المحلي التي يهيمن عليها «الوالي» (المحافظ)، وهو مسؤول معيّن من طرف الرئيس لإدارة المحافظة، لكن هذا التغيير يتطلّب مراجعة شاملة لنظام حُكم الأقاليم في الجزائر، القائم على مركزية شديدة في العاصمة باتت مع الوقت محلّ انتقاد شديد، بسبب عدم نجاح النموذج المذكور في تحقيق التنمية، ناهيك عن الفوارق المسجّلة بين مختلف مناطق الجزائر التي تُعدّ بمساحتها أكبر بلد في أفريقيا حالياً.

مركز حقوق اللاجئين – عائدون

ينعى إليكم الرفيق المناضل سماح سهيل إدريس عضو الهيئة العامة في مركز عائدون ورئيس تحرير مجلة الآداب ومن مؤتسسة حملة مقاطعة داعمي إسرائيل الذي وافته المنية صباح يوم أمس بعد صراع مع المرض
نسأل الله أن يتغمد الفقيد بواسع رحمته

آخر كلام الراحل سماح
"إذا تخلينا عن فلسطين، تخلينا عن أنفسنا".

وفيات

بسم الله الرحمن الرحيم
يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية
بعميق الحزن ننعى إليكم فقيدنا الغالي بإذن الله
المرحوم
الدكتور سماح سهيل ادريس
والدته: عائدة مطرجي
إبنتاه: سارية وناي سماح إدريس
شقيقتاه: رنا سهيل إدريس زوجة نبيل نوفل وعائلتها
رائدة زوجة رمزي حشاش وعائلتها
صُلّي على جثمانه الطاهر ووري الثرى يوم الجمعة الموافق فيه 2021/11/26 في جامع الخاشقجي بعد صلاة العصر.
تُقبل التعازي اليوم وغداً الموافق فيهما 27 و28 تشرين الثاني 2021 في جمعية خريجي الجامعة الأميركية (AUB-ALUMNI) من الساعة العاشرة صباحاً حتى الواحدة ظهراً ومن الساعة الثالثة حتى الساعة السادسة.
الأسفون آل: إدريس – مطرجي – شايد – نوفل – حشاش – مولوي – خليفة – كسر.

إعلانات رسمية

اعلان
تعلن شركة كهرباء لبنان الشمالي المغفلة – القاديشا عن تمديد مهلة استدراج العروض العائد لتقديم يد عاملة داعمة للقاديشا (عدد 61) لمدة سنة، وذلك وفق المواصفات الفنية والشروط الادارية المحددة في دفتر الشروط الذي يمكن الحصول على نسخة عنه لقاء خمسماية الف ليرة لبنانية (تضاف TVA) من دائرة الشؤون المشتركة في مركز الشركة في البحصاص ما بين الساعة 8 صباحاً و12 ظهراً من كل يوم عمل بإستثناء يوم الجمعة لغاية الساعة 11 ظهراً.
تقدم العروض في أمانة السر في القاديشا – البحصاص.
تنتهي مدة تقديم العروض يوم الثلاثاء الواقع فيه 7 كانون الاول 2021 الساعة 12 ظهراً ضمناً.
مدير القاديشا
المهندس عبد الرحمن مواس
التكليف 976

اعلان
تعلن شركة كهرباء لبنان الشمالي المغفلة – القاديشا عن تمديد مهلة استدراج العروض العائد لتزويد آليات القاديشا بمادة البنزين والمازوت لمدة سنة، وذلك وفق المواصفات الفنية والشروط الادارية المحددة في دفتر الشروط الذي يمكن الحصول على نسخة عنه لقاء مبلغ خمسون الف ليرة لبنانية (تضاف TVA) من دائرة الشؤون المشتركة في مركز الشركة في البحصاص ما بين الساعة 8 صباحاً و12 ظهراً من كل يوم عمل بإستثناء يوم الجمعة لغاية الساعة 11 ظهراً.
تقدم العروض في أمانة السر في القاديشا – البحصاص.
تنتهي مدة تقديم العروض يوم الاربعاء الواقع فيه 15 كانون الاول 2021 الساعة 12 ظهراً ضمناً.
مدير القاديشا
المهندس عبد الرحمن مواس
التكليف 974

اعلان
من أمانة السجل العقاري في عاليه
طلب حسام كامل زيتوني لموكله كامل نجم زيتوني سند تمليك بدل ضائع للعقار 2139 شارون.
للمعترض المراجعة خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري في عاليه
ليليان داغر

اعلان
من أمانة السجل العقاري في عاليه
طلب انطون بطرس بو عبدو وكيل تاتيانا ميشال شحاده لموكلته فيرا سليم شحاده سند تمليك بدل ضائع عن حصتها في العقار 162 عين صوفر.
للمعترض المراجعة خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري في عاليه
ليليان داغر

اعلان
من أمانة السجل العقاري في عاليه
طلبت سابين جورج كريم لموكلتها جورج حليم كريم سند تمليك بدل ضائع للعقار 619 الغابون.
للمعترض المراجعة خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري في عاليه
ليليان داغر

اعلان
من أمانة السجل العقاري في عاليه
طلبت سابين جورج كريم لموكلتها جورج حليم كريم سند تمليك بدل ضائع للعقار 619 الغابون.
للمعترض المراجعة خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري في عاليه
ليليان داغر

اعلان
من أمانة السجل العقاري في عاليه
طلبت ناديا داوود خليل زهر الدين لموكلتها نجيب سعيد مرعي سند تمليك بدل ضائع عن حصته في العقار 2792 بتاتر.
للمعترض المراجعة خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري في عاليه
ليليان داغر

إعلان
من أمانة السجل العقاري في عاليه
طلبت مي نبيل شبارو بصفتها الشخصية سند تمليك بدل ضائع للعقار 3083 قسم 10 القبة.
للمعترض المراجعة خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري في عاليه
ليليان داغر

اعلان
من أمانة السجل العقاري في عاليه
طلب جورج سرحال عبد الساتر وكيل ميشال ايلي عسيلي لموكلته ماري جورج شقير سند ملكية بدل ضائع عن حصتها للعقار 2843 مجدلبعنا.
للمعترض المراجعة خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري في عاليه
ليليان داغر

استراحة

كلمات متقاطعة 3896

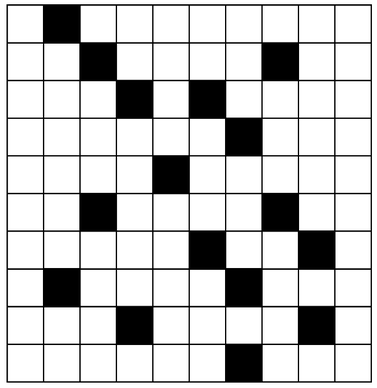

أفقيا
1- حقبة تاريخ العرب قبل الإسلام – 2- للنداء – آلة موسيقية – إله – 3- من الطيور – يغطي جلد الطائر – 4- وحدة قياس كهربائية – عاصمة كازاخستان سابقاً – 5- عاصمة عربية – عاصمة آسيوية – 6- خاصتك بالأجنبية – والدتنا – قصد المكان – 7- ضمير متصل – السرور – 8- ولد الطائر – أنهيا العمل – 9- وكالة أنباء عربية – شقّ الثوب بالعامية – 10- دولة عربية – التخلص من العبودية

عمودياً
1- فنان مصري من أغانيه «سحراني» – 2- بحيرة روسية – 3- سكن اللهيب – ضد نربح – 4- ثبّت الموعد – أحرف متشابهة – 5- ضمير منفصل – الإنسان الأول – ضمير منفصل – 6- دولة آسيوية – إقليم في أفريقيا الجنوبية – 7- عملة آسيوية – تُصالح – 8- عائلة مخرج سينمائي هندي راحل – جيّد من كل شيء – 9- رسّام فرنسي راحل – هيئة الملابس – 10- صفة تُطلق على لبنان في زمننا الحاضر

حلول الشبكة السابقة

أفقيا
1- نبيل العربي – 2- فخر الدين – 3- طيّار – غل – ب ب – 4- ولس – نهاري – 5- لزج – منجم – 6- همّ – فاس – أول – 7- التمرين – 8- خشب – يوم – رخ – 9- وي – حنا – دبي – 10- خليج العقبة

عمودياً
1- نفطويه – خوخ – 2- بخيل – ماشيل – 3- يُراسل – لب – 4- لار – زفت – حج – 5- ال – نجامينا – 6- لدغه – سروال – 7- عيلام – يم – 8- رن – رنّان – دقّ – 9- بيجو – ربب – 10- يلب – ملوخية

sudoku 3896

	6	7			2		9	3
				6	9			
1			4				5	
			3		8		1	7
7		2		4	6	8		
		1		5				
2		4				3		
			2	3	1		8	
3		9				7		5

شروط اللعبة
هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 3895

4	5	7	8	9	2	3	6	1
6	9	8	1	4	3	7	2	5
2	1	3	6	5	7	8	4	9
1	6	4	7	8	9	5	3	2
3	8	2	5	1	4	9	7	6
9	7	5	2	3	6	1	8	4
8	3	6	9	2	5	4	1	7
5	2	1	4	7	8	6	9	3
7	4	9	3	6	1	2	5	8

مشاهير 3896

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

شابة مصرية وضعت صورتها عام 2011 عارية على الفايسبوك والتويتر إحتجاجاً وصرخة ضد مجتمع العنف والعنصرية والتحرّش الجنسي والنفاق

إعداد
نعوم مسعود

6+7+3+5+4 = آخر الحروف ■ 1+2+8 = راية ■ 11+9+10 = يهدم الحائط
حل الشبكة الماضية: **رومانو برودي**

على الغلاف

وداعاً رفيق سماح... #الإنسان_القضيّة وحبيب فلسطين

نقاشات مؤجّلة

بيار أبي صعب

سماح وأنا، كنا نتناقش كثيراً، ونختلف قليلاً. عرفته متأخّراً في العام الفين، خلال وقفة احتجاجيّة، وسط بيروت، في ما أذكر دعماً لمطالب الأسرى المحرّرين من معتقلات الاحتلال. كنت عائداً لتوّي إلى بيروت بعد غياب 18 عاماً، وعليّ أن أعوّض أموراً كثيرة فاتتني، في مدينة تعيش أوهام الانبعاث واستعادة الروح. أخذني جوزف من كتفي صوب شاب طويل عابس، وقال لي: ألا تعرف سماح؟ سلّمت بحرارة. ومن تلك اللحظة صرنا أصدقاء، بعدما كنّا رفاقاً افتراضيين في المعركة الشاقة التي وهبها عمره. المعركة من أجل فلسطين. لطالما تساءلت عن سر عبوسه، فلا تنفرج أساريره إلا لحظة تثبيت إنجاز، أو إفحام مساجل. ثم صار عليّ أن أقف لغزاً آخر: ألا يتعب هذا الرجل من النضال؟ بعدها بسنوات عديدة (2017)، كنا جنباً إلى جنب فوق المنصّة مع المسرحي الراحل جلال خوري، في «مركز توفيق طبارة»، بدعوة من «ندوة العمل الوطني» لمناقشة آليات «تحصين الجمهور اللبناني ضد التطبيع مع العدو الإسرائيلي». يومها شرح لنا الفرق بين المناضل والناشط، بين المجتمع المدني الحقيقي، وموظفي المنظمات غير الحكومية... وأنا أراقبه فهمت هذا القاسم المشترك بين العمل الفكري وفن الإبحار خارج السرب، في كلتا الحالتين على المناضل أن يتعايش مع وحدته. أن يعرف كيف يكون وحيداً. رغم وجوده دائماً في الشارع، بين الناس، على الجبهات المدنية كافة. وفي قلب العمل الأدبي والثقافي، وسط رفاقه ورفيقاته في «حملة المقاطعة»، بت مقتنعاً الآن أن سماح كان وحيداً مع الهمّ العظيم الذي يسكنه. مسحة الحزن هذه، هي سرّه الأخير.

فلسطين لم تعد «على الموضة» في الوسط الثقافي الجديد؟ هل للمنظومة المُؤنجزة، أو لـ «الربيع العربي» المسروق، دور في ذلك؟ في آخر إيميل شخصي منه في أيلول/ سبتمبر (لا أتحدث عن بيانات «حملة المقاطعة») دعاني (باسم «حملة مقاطعة داعمي إسرائيل في لبنان») إلى الالتحاق بـ «الحلف ـ الحركة اللبنانية الفلسطينية» الذي كان سيطلق هذه الأيّام من نوفمبر الحالي، من خلال لقاء مفتوح يبحث في «تشكيل إطار فلسطينيّ ـ لبنانيّ مشترك، ذي طابع ثقافيّ ـ سياسيّ، يرصد النزعاتِ العنصرية المستشرية، ويدعم الفكرَ الوطنيّ اللبنانيّ العروبيّ التقدميّ، ويناضل من أجل إحقاق الحقوق المدنيّة للشعب الفلسطينيّ في لبنان، وأهمُّها حقُّ التملّك والعمل...». فكرت آنذاك أن نوفمبر بعيد، ولدينا الوقت للتداول في الفكرة وتبادل الاقتراحات. شهران فقط، كانا يفصلان سماح عن معركة أخيرة، لم يكن يتوقّعها، لكنّه خاضها كعادته ببسالة السامواراي.

الآن أفكّر أن هذا الكاتب والباحث والناشر، ابن البيت الثقافي العريق، ابن «دار الآداب» ومجلّة «الآداب» العريقة التي أعاد إحياءها بنجاح وبشق الروح، مترجم نورمن فنكلستين (صناعة الهولوكوست)، وتلميذ إدوار سعيد، الذي يميل إلى «الجبهة الشعبية» يشبه محارب سامواراي، في القواعد الصارمة التي يفرضها على نفسه وعلى الآخرين، في تصميمه وشجاعته و... عزلته أحياناً. أذكر جيّداً كيف واجه وحيداً المعارك القضائيّة الشرسة لتركيعه وإخضاعه، ومنعه من التصدي لكل محاولات التطبيع، عبر الفن والثقافة. لذا، حين اختلفنا على التكتيك، في بعض المعارك، لم يلن أو يعد النظر في أسلوبه الهجومي. فكرتي البسيطة كانت تفادي الرمايّة «المطاوعة» التي تنفّر سكان المناطق الماديّة. والتي لا تشبه أصلاً ثقافتنا ووعينا، واستيعاب المزاج الشبابي الذي يتعرّض لمحاولات احتواء واختطاف فظيعة من قبل الديموقراطيات الاستعماريّة، ووضع سياسات تواصل مع الرأي العام خارج الدائرة المحدودة للمقتنعين والمعتنقين. أنا لا أستغيث الآن، رفيق سماح، بل بالعكس! أظن أن النقاش سيستمر بيننا، وسأبقى أواجه بإعجاب عنادك ورادیکالیّتك وإصرارك.

مسيرة خصبة وغزيرة في الأدب والفكر والسياسة

«إذا تخلّينا عن فلسطين تخلّينا عن أنفسنا» تلك كانت قناعته. ووصيّته الأخيرة قبل أن يغمض عينيه أول من أمس بعد معركة شجاعة وعنيدة مع المرض. المثقّف العضوي والمناضل والكاتب والمترجم، والعضو المؤسّس لـ «حملة مقاطعة داعمي إسرائيل في لبنان» (منذ عام 2002)... أدوار كثيرة لعبها الراحل، يبقى عنوانها الالتزام السياسي بمعناه العميق والوقوف بجانب القضايا العادلة والمحقّة والدفاع عن شعوبنا العربية التي تنوء تحت وطأة الاستعمار والاستبداد في آن. زاوية من أحلامنا وثقافتنا ونضالنا انطفأت. لعلّها كانت الأجمل!

محمد ناصر الدين

«دخل الإسرائيليون بيروت في مثل هذه الأيام وصاروا تحت منزلنا. احتارت أمّي عايدة وأنا ما نفعل. فالرفوف مليئة بكتب عبد الناصر وغسان وائيل وأبي نزار مروّة والجبهة ولينين وسواطع و«مركز دراسات الوحدة العربية» و«الآداب». بدأتُ بجمع «الأخطر». بعد دقيقتين، اكتشفنا أنّ مكتبتنا هي نحن. أبي سهيل بقي مبتسماً كأنه يقول «هذه المكتبة لن تقدر عليها يا ابني، ولن يقدروا (الإسرائيليون) عليها». أعدنا كل شيء إلى الرفّ، ولم أنزّل صورة وديع حداد من فوق سريري».

منذ نعومة أظفاره، قبل سماح إدريس (1961 ـ 2021) «التحدي»، وإذ صدّقت نبوءة الأب في انكسار الغزاة في قلب بيروت ورحيلهم عنها سريعاً، إلّا أنّ الشاب الطموح الذي نال الدكتوراه من «جامعة كولومبيا» في نيويورك في دراسات الشرق الأوسط، والماجستير من «الجامعة الأميركية في بيروت» في الأدب العربي، والبكالوريوس من الجامعة نفسها في الاقتصاد أثبت أنّه «ابن أبيه» في رئاسة تحرير مجلة «الآداب» (منذ عام 1992) التي أسسها أبوه الأديب الراحل سهيل إدريس عام 1953، وفي الحفاظ على رؤيتها التحررية والمتزنة. إذ لم تغب فلسطين عن عدد واحد من «الآداب» تحت إشراف إدريس الابن، هي التي ـ منذ تأسيسها ـ تبنّت على المستوى الأدبي خطاباً جمع مثقفي اليسار ومثقفي الاتجاهات العروبية، وهو خطاب النضال من خلال الكلمة أو الأدب الملتزم كما عبّر عنه الفيلسوف الفرنسي جان بول سارتر (الذي للمفارقة لم يلتزم بالقضية الفلسطينية). اتخذ هذا الالتزام العربي صورة دخول مباشر للأدب في ساحة السياسة والحرب والقضايا القومية المصيرية وفي طليعتها نكبة فلسطين التي كانت ركيزة القضايا الملتزمة. هكذا، صارت «الآداب» منبراً لتعبئة الشعور القومي عبر الأدب والكلمة الأمضى من الرصاصة. ظهر على صفحاتها روّاد حداثة بيروت ونهضتها في خمسينات القرن الماضي أهمهم: بدر شاكر السياب، نزار قباني، خليل حاوي، عبد الوهاب البياتي، سعدي يوسف، محمد الفيتوري، بلند الحيدري، صلاح عبد الصبور، أحمد عبد المعطي حجازي، ليليهم جيل الستينيات من محمود درويش، وسميح القاسم، وحسب الشيخ جعفر، وعز الدين المناصرة، ومحمود درنقل، ومحمد علي عدوان، وأمل دنقل، ومحمد علي شمس الدين وغيرهم.

وعلى سماح إدريس صعوبة المهمة الموكلة إليه في «الآداب»، بخاصة بعد دخول بيروت عصر «الردّة» وملوك الطوائف، وخروجها من الحرب مثخنة بالجراح، فسعى إلى إيجاد توازن بين المادة النقدية الأدبية والثقافية مقابل ترسانة من الأدب السياسي والإيديولوجي الفكري. منذ 2008، عكف فوق صفحات مجلة «الآداب» على إعداد ملف في عدة أجزاء اسمه «تقويم الإنتاج الثقافي العربي» انتقى في حينه مجموعة إنتاجات أدبية. وكلّفت المجلة نقاداً أدبيين رفيعي المستوى لتناول هذه الأعمال نقداً وتشريحاً وتفكيكاً، فكان لي لحّص التجربة في إحدى مقابلاته: «لم أستطع أن أجد خمسة نقّاد يستطيعون أن يتناولوا النتاج الأدبي الثقافي العربي وأن يقدّموا نقداً حقيقياً. هناك ضعف في الإنتاج النقدي، وهذا لا ينطبق على النتاج الفكري والنقد السياسي العربي. أعتقد أن الفكر والنقد السياسي متطوّر بمراحل عن النقد الأدبي العربي في المرحلة الحالية، ربما بسبب تراجع الجامعات العربية وعدم ترجمة النظريات الأدبية الحديثة وانتشار الثقافة السياسية عبر الإعلام. هناك وعي فكري وسياسي متطور عن الوعي النقدي الأدبي».

ولأنّ المجلة كانت منبراً لاكتشاف الشعراء الروّاد، فقد واجه رئيس تحرير «الآداب» أيضاً إشكالية تراجع المشهد الشعري العربي منذ بداية الحرب الأهلية، ثم سيطرة رأس المال والطائفية على الثقافة، فكان أن بادر إلى تخصيص محاور شعرية وتكليف شعراء ونقّاد شعر بالكتابة عن الشعر في المجلّة. كما بُرز الدور المؤثر لسماح إدريس في «دار الآداب» التي مثّلت الجناح المتمم للمجلة منذ انشائها عام 1956، وقد عنت بإصدار أمهات الكتب التي تخصّ الأدب والمسرح والكتب المترجمة والدراسات الأدبية والنقدية، وقد أفرد سماح إدريس على صفحات «الأخبار» نقداً ثقافياً بكاد يكون الأول من نوعه لمؤسسة «عائلية» تعنى بإنتاج الثقافة والفكر (ملحق «كلمات»، 28 تشرين الثاني/ نوفمبر 2014): «أحد أسباب بقاء دارنا على قيد الحياة أثناء الحرب أنّها لم تكن «مؤسسة» بالدلالات العلمية المألوفة، وإنّما فرداً من أفراد هذه العائلة: تأكل ممّا يأكلون، وتشربُ ممّا يشربون، وتنامُ في أسرّتهم. وتتدحرج معهم إلى الملجأ، وتغادر البلدَ حين يغادرون. وكان سهيل وعايدة يستقبلان عمّال المطبعة والكتّاب بين عامي 1975 و1981 في بيتنا في منطقة «الطريق الجديدة»، بعدما تعذّر ذهابُهما إلى المطبعة أو المكتب الكائنَيْن بين الخندق الغميق والعازاريّة»، وليكشف أسراراً تتعلق بالذائقة الأدبية وتغليب نوع على آخر سواء في المجلة أو الدار: «وساقول إنّ هوى أفراد العائلة طغى أحياناً على حاجات الثقافة والنشر ورغبات القرّاء المتنوّعة. فقد غلب الهمُّ الفكري والسياسي على مجلة «الآداب» بسبب طغيانه على عقل رئيس تحريرها (أنا)، على حساب الأدب. وغلب الجنسُ الروائي على مجمل إصدارات الدار بسبب الهوى الروائي لدى مديرة الدار، بادر إلى تخصيص محاور شعرية وتكليف شعراء ونقّاد شعر بالكتابة عن الشعر في المجلّة. كما بُرز الدور المؤثر لسماح إدريس في «دار الآداب» التي مثّلت الجناح المتمّم للمجلة منذ انشائها عام 1956، وقد عنت بإصدار أمهات الكتب التي تخصّ الأدب والمسرح والكتب المترجمة والدراسات الأدبية والنقدية، وقد أفرد سماح إدريس على صفحات «الأخبار» نقداً ثقافياً يكاد يكون الأول من نوعه لمؤسسة «عائلية» تعنى بإنتاج الثقافة والفكر (ملحق «كلمات»، 28 تشرين الثاني/ نوفمبر 2014): «أحد أسباب بقاء دارنا على قيد الحياة أثناء الحرب أنّها لم تكن «مؤسسة» بالدلالات العلمية المألوفة، وإنّما فرداً من أفراد هذه العائلة: تأكل ممّا يأكلون، وتشربُ ممّا يشربون، وتنامُ في أسرّتهم. وتتدحرج معهم إلى الملجأ، وتغادر البلدَ حين يغادرون. وكان سهيل وعايدة يستقبلان عمّال المطبعة والكتّاب بين عامي 1975 و1981 في بيتنا في منطقة «الطريق الجديدة»، بعدما تعذّر ذهابُهما إلى المطبعة أو المكتب الكائنَيْن بين الخندق الغميق والعازاريّة»، وليكشف أسراراً تتعلق بالذائقة الأدبية وتغليب نوع على آخر سواء في المجلة أو الدار: «وساقول إنّ هوى أفراد العائلة طغى أحياناً على حاجات الثقافة والنشر ورغبات القرّاء المتنوّعة. فقد غلب الهمُّ الفكري والسياسي على مجلة «الآداب» بسبب طغيانه على عقل رئيس تحريرها (أنا)، على حساب الأدب. وغلب الجنسُ الروائي على مجمل إصدارات الدار بسبب الهوى الروائي لدى مديرة الدار، تراجع المشهد الشعري العربي منذ بداية الحرب الأهلية، ثم سيطرة رأس المال والطائفية على الثقافة، فكان أن بادر إلى تخصيص محاور شعرية وتكليف شعراء ونقّاد شعر بالكتابة عن الشعر في المجلّة. كما بُرز الدور المؤثر لسماح إدريس في «دار الآداب» التي مثّلت الجناح المتمّم للمجلة منذ انشائها عام 1956، وقد عنت بإصدار أمهات الكتب التي تخصّ الأدب والمسرح والكتب المترجمة والدراسات الأدبية والنقدية، وقد أفرد سماح إدريس على صفحات «الأخبار» نقداً ثقافياً يكاد يكون المؤلف الوحيد لسماح إدريس في «دار الآداب» التي مثّلت الجناح المتمّم للمجلة منذ انشائها عام 1956، وقد عنت بإصدار أمهات الكتب التي تخصّ الأدب والمسرح والكتب المترجمة والدراسات الأدبية والنقدية، وقد أفرد سماح إدريس على صفحات «الأخبار» نقداً ثقافياً يكاد يكون الأول من نوعه لمؤسسة «عائلية» تعنى بإنتاج الثقافة والفكر (ملحق «كلمات»، 28 تشرين الثاني/ نوفمبر 2014): «أحد أسباب بقاء دارنا على قيد الحياة أثناء الحرب أنّها لم تكن «مؤسسة» بالدلالات العلمية المألوفة، وإنّما فرداً من أفراد هذه العائلة: تأكل ممّا يأكلون، وتشربُ ممّا يشربون، وتنامُ في أسرّتهم. وتتدحرج معهم إلى الملجأ، وتغادر البلدَ حين يغادرون. وكان سهيل وعايدة يستقبلان عمّال المطبعة والكتّاب بين عامي 1975 و1981 في بيتنا في منطقة «الطريق الجديدة»، بعدما تعذّر ذهابُهما إلى المطبعة أو المكتب الكائنَيْن بين الخندق الغميق والعازاريّة»، وليكشف أسراراً تتعلق بالذائقة الأدبية وتغليب نوع على آخر سواء في المجلة أو الدار: «وساقول إنّ هوى أفراد العائلة طغى أحياناً على حاجات الثقافة والنشر ورغبات القرّاء المتنوّعة. فقد غلب الهمُّ الفكري والسياسي على مجلة «الآداب» بسبب طغيانه على عقل رئيس تحريرها (أنا)، على حساب الأدب. وغلب الجنسُ الروائي على مجمل إصدارات الدار بسبب الهوى الروائي لدى مديرة الدار، تراجع المشهد الشعري العربي منذ بداية الحرب الأهلية، ثم سيطرة رأس المال والطائفية على الثقافة، فكان أن بادر إلى تخصيص محاور شعرية وتكليف شعراء ونقّاد شعر بالكتابة عن الشعر في المجلّة. كما بُرز الدور المؤثر لسماح إدريس في «دار الآداب» التي مثّلت الجناح المتمّم للمجلة منذ انشائها عام 1956، وقد عنت بإصدار أمهات الكتب التي تخصّ الأدب والمسرح والكتب المترجمة والدراسات الأدبية والنقدية، وقد أفرد سماح إدريس على صفحات «الأخبار» نقداً ثقافياً يكاد يكون المؤلف الوحيد لسماح إدريس في «دار الآداب» التي مثّلت الجناح المتمّم للمجلة منذ انشائها عام 1956، وقد عنت بإصدار أمهات الكتب التي تخصّ الأدب والمسرح والكتب المترجمة والدراسات الأدبية والنقدية، وقد أفرد سماح إدريس على صفحات «الأخبار» نقداً ثقافياً يكاد يكون الأول من نوعه لمؤسسة «عائلية» تعنى بإنتاج الثقافة والفكر (ملحق «كلمات»، 28 تشرين الثاني/ نوفمبر 2014): «أحد أسباب بقاء دارنا على قيد الحياة أثناء الحرب أنّها لم تكن «مؤسسة» بالدلالات العلمية المألوفة، وإنّما فرداً من أفراد هذه العائلة: تأكل ممّا يأكلون، وتشربُ ممّا يشربون، وتنامُ في أسرّتهم. وتتدحرج معهم إلى الملجأ، وتغادر البلدَ حين يغادرون. وكان سهيل وعايدة يستقبلان عمّال المطبعة والكتّاب بين عامي 1975 و1981 في بيتنا في منطقة «الطريق الجديدة»، بعدما تعذّر ذهابُهما إلى المطبعة

> وعى صعوبة المهمة الموكلة إليه في «الآداب»، بخاصة بعد دخول بيروت زمن «الردّة» وملوك الطوائف، وخروجها من الحرب مثخنةً بالجراح

أميركي يهودي بحثاً عن الحقيقة والعدالة» (2008) و«صناعة الهولوكوست» (2001)، إضافة إلى «عن الإمبراطورية والمقاومة» لطارق علي (2006) و«النزعة الإنسانية العسكرية الجديدة» لنعوم تشومسكي (2001). أسهم مع والده بمشاركة العلّامة صبحي الصالح في تحرير «المنهل العربي الكبير» الذي وصفته الدار بأكبر وأشمل معجم عربي. عربي حديث؛ وهو ما يحتاج إليه كلّ مواطن عربيّ اليوم. وسوف يسدّ عند صدوره في ثلاثة أجزاء ضخمة (8000 صفحة) نقصاً كبيراً في الميدان المعجميّ العربيّ الحديث، إذ يكاد يكون الأضخم. كذلك، تخصّص في أدب شديد الخصوصية هو أدب الناشئة بـ 14 رواية وقصة نذكر منها: «الشبّاك» (2017)، و«خلف الأبواب المغلقة» (2014) و«الفلافل النازحين» (2011)، و«النصاب» (2010) و«الملجأ» (2009). وقد انطلق إدريس في خلفية كتاباته للأطفال من الإشكاليات المعقّدة التي تواجه كل من يخوض غمار «الأدب الأصعب» أي منشورات الأطفال واليافعين في العالم العربي من قبيل: أين يكمن الحاجز بين الأطفال ولغة الضاد؟ لماذا لدى الكبار فكرة مسبقة عما يجب عليه أن يكون كتاب الأطفال؟ ولماذا كما قال أدونيس يوماً: «الولد في الشرق يولدُ أباً»، فتجتاح قصص الوعظ الأخلاقية التي تكرّس السلطة البطركية كل خطاب موجّه إلى الأطفال؟ إلا أن كتابة سماح إدريس في هذا المضمار ميّزها قربها من جيل اليوم، جيل «السبابة» كما يسميه الفيلسوف الفرنسي ميشال سير، أو جيل «الآيباد» الذي يفاضل بين قراءة كتاب أو تسجيل هدف على «البلايستايشن» عبر نجمه ليونيل ميسي أو كريستيانو رونالدو. المح سماح إدريس في مقدمة لسلسلة قصصية من تأليفه إلى الواقع المرّ للّغة العربية حين تمارس كضغط سلطوي و«أبوي» على جيل اليوم: «هذه السلسلة تروي حكايات ولد من بيروت، بلغة تحاول أن تقترب من حديثنا اليومي، مبتعدة عن الوعظ الذي بات سمة كثير من كتب الأطفال. كما أنّ السلسلة تحاول التخفيف من الاغتراب الذي يشعرون به ويشعر به بعض الأهل حيال العربية. بدأت مغامراتي هذه بعد 12 عاماً من رئاسة تحرير مجلة «الآداب». خلال هذه الفترة، تكشّفت لي طواعية العربية، بقدر ما تجلّى أمامي تزمت بعض اللغويين الذين تعاملوا معها بوصفها كائناً محنطاً معزولاً عن الحياة اليومية والتأثيرات الخارجية، خلافاً لواقع التراث الأدبي العربي القديم نفسه». الكاتب الملتزم الذي لا يساوم في قضايا الالتزام والمقاومة ومناهضة التطبيع، يبدي في أدب الأطفال أقصى درجات المرونة، ليثبت أن العلاقة اليوم بين «أطفال العولمة» والأدب واللغة ليست مستحيلة، حين تنتقل القراءة من منطقة الملل والإجبار وحلقات الاستظهار المدرسية الفارغة إلى منطقة المتعة والابتكار، والسماح للغة مرنة تجاري اللغات الأخرى رشاقة، في بلد مثل لبنان تتنوع فيه الأهواء والأنساق والمناهج التعليمية، أن توازن بين العامية (يمكن ردّ الكثير من مفرداتها إلى الفصحى بدون كثير عناء) وفصحى ميسّرة. هكذا، لا يشعر الناشئة ببون شاسع بين اللغة التي يفكّرون ويتعاملون بها في حياتهم اليومية، وأخرى يُلزمون بأتباعها في دروس الأدب والجغرافيا والتاريخ، وبطرائق تعليم قديمة لا تستفيد من الثورة الرقمية لإيصال مفاهيمها المُحكمة التي لا يعوزها التعقيد بطريقة سلسة وسائلة. وقد وضع إدريس الإصبع على الجرح حين أشار إلى الأساليب الخشبية في ممارسة «سلطة المعلّم» وعدم تطويع اللغة التي تحتمل في تضاعيفها، مرونة أسلوبية وسهولة اشتقاقات مهولة، لتكون ضمن عدّة التواصل والمعرفة للناشئة.

وضع إدريس التواصل مع هذا الجيل ومخاطبته بلغته هدفاً رئيساً، إضافة إلى تطوير المخزون اللغوي للطفل بطريقة أنيقة وبعيدة عن كل ما هو منفر وشاذ وغريب، فتواصل معهم في فترة الحجر من وباء كورونا وروى لهم قصصه عبر اليوتيوب رادماً الهوة بين الاستماع إلى القصة وقراءتها، واصفاً التجربة كما يلي: «فكرت في التسجيل قبل حظر التجول وتحديداً منذ بداية توقف الدراسة، وسبق وأن فعلت هذا بشكل خاص ولكن بالصوت فقط لأحد المستشفيات التي يتعالج به أطفالٌ مرضى بالسرطان، فأنا أحاول تثقيف الأطفال، لكن فجأة أن الأطفال لم يكتفوا بقصتين في الأسبوع الواحد فقط، بل بعثوا له برسائل على يوتيوب وحسابه الشخصي على فايسبوك والواتساب، متضمنة مطالبهم وعائلاتهم بقصص أكثر، عبر الرسائل الصوتية التي تبدأ جميعها بـ «عمّو سماح نريد قصص زيادة وأحببناها كثيراً».

من آخر ما كتبه سماح إدريس على صفحته على الفايسبوك: «كان زملائي في المدرسة والجامعة يعرفون ولعي بالعربيّة منذ كنتُ في السادسة عشرة. مرّةً، كتبتُ بياناً سرّيّاً من دون توقيع (بعيد الاجتياح الإسرائيلي صيف عام 1982)، وتعمّدتُ ارتكاب أخطاء لغويّة، وأسقطتُ الشدّات أو وضعتُها في المكان الخطأ. قضيتُ الليل كلّه وأنا أتمزّق بين الخوف من الملاحقة الأمنيّة (سلطة أمين الجميّل)، وتأنيب ضميري اللغوي». يصعب وداع تلك الروح التي تغنّي للمدينة وأطفالها وتناضل وتقاتل وتشتبك: برحيل سماح إدريس بتجرأ الموت على مدينتنا بأكبر من خطأ لغوي: إنه قتل متعمد لزاوية من أحلامنا وثقافتنا ونضالنا، لعلّها الأجمل.

شُيّع الراحل أمس في «جامع الخاشقجي»، على أن تقبل التعازي اليوم وغداً في «جمعية خرّيجي الجامعة الأميركية» في بيروت (AUB-ALUMNI) بدءاً من العاشرة صباحاً حتى الواحدة ظهراً، ومن الثالثة حتى السادسة بعد الظهر.

لا أصدّق أنني أرثيك

أسعد أبو خليل

أتذكّره في المدرسة الثانويّة في الـ«آي سي»، وعرفتُ شقيقته رنا (في «اللّيسيه») من زمن التظاهرات والحركات في المدارس من أجل فلسطين. جمعنا النضال من أجل فلسطين، وكانت زيارة السادات أول عمل مشترك لنا في الاحتجاج والتحرّك الطلابي. منذ تلك الأيام، كان يوكل إليه وليّ أمر الصياغة المشتركة للبيانات والمنشورات، وبقينا على هذه الشراكة على مرّ العقود الطويلة. كنا عندما نختلف على مسألة في اللغة العربيّة ونفشل في التوافق على حلّها، أقول له: فلنتوقّف. أعرضُها على والدك (سهيل إدريس) وأنا أقبل بما يُفتي. وهكذا كان دوماً. عندما عرفتُ بمرض سماح المفاجئ، كتبتُ له: كما خضتَ معارك شرسة ضد الصهيونيّة، نحتاجك كي تخوض هذه المعركة. لا يمكن للقضيّة أن تتخلّى عنك. هي تحتاجك. لكن أخبار مرضه كانت تصلني بصورة يوميّة. كانت المواكبة مؤلمة جداً لجميع من عرفه وأحبّه. كنا نتبادل الأخبار عنه بعد مرضه على مدار الساعة ونحاول ألا نتكلّم معه عن المرض. كيف يمكن أن يفقد حيويّته بهذه السرعة؟ كيف يمكن للمقاطعة أن تفقد دوره، وهو الذي حرص على مواكبتها في أيامه الأخيرة الصعبة. كيف يمكن للأمعاء أن تقتله وتأخذه من عائلته ومحبّيه؟

لا أخفي أنني عندما سمعتُ بخبر مرضه، شعرت بشحنة غضب ضد عدد من الإعلاميّين اللبنانيّين الثاو ثاويّين: هؤلاء الذين قضوا ساعات على مواقع التواصل ليسخروا من سماح إدريس ويسخروا من قضيته في مقاطعة إسرائيل والشركات المتعاونة معها. هؤلاء أفنوا في ذمّ سماح إدريس أكثر بكثير مما أفنوا في نقد وذم إسرائيل. هؤلاء قضيّتهم لم تكن مقاطعة إسرائيل، بل ذم مقاطعة إسرائيل. سماح لم يكترث لعبثهم ومضى في حاله. يشحن عزيمته باستمرار. سماح كان هدفاً سهلاً: لم يكن وراءه حزب أو حركة أو نظام. كان مثلي من الذين تأثّروا بجورج حبش. سماح تعرّض لحملات كثيرة مغرضة بسبب عناده في رفع لواء معركة المقاطعة. وسماح لم يكن يرى في المقاطعة بديلاً عن المقاومة، كما يرى بعض الليبراليّين في الغرب. لا، هو رأى في المقاطعة رافداً من روافد مقاومة إسرائيل.

> كان يجول على المخيّمات لمشاركة الأطفال القراءة

عاد سماح إلى لبنان بعدما أنهى الدكتوراه في «جامعة كولومبيا» وتسلّم مجلّة «الآداب». وفي عصر كانت فيه المجلات إما تندثر أو تلتحق بأنظمة الخليج، عاشت «الآداب» (وإن توقّفت لفترة) ولم يساوم سماح وحافظ على خط «الآداب» العروبي التاريخي وضعَّ فيه فكراً يسارياً أنعشها وجعلها أكثر راهنيّة. (قد لا يعلم البعض بأنّ «الآداب» كانت نقيض المشروع الرجعي لمجلّة «شعر»). والمجلّة كانت من نادرات الثقافة والإعلام العربي في أن سماح كان يحرص على تحرير المقالات، يحرّرها بالفعل ويمحّص فيها إلى درجة أنه يجعل الكاتب يتضايق لو أنّه غير حريص على شكل إنتاجه. تجربة التحرير في «الآداب» لم أمرّ فيها في مجالات النشر العربيّة. انكبّ سماح على العمل على تطوير «الآداب» وعلى نشر الأرشيف رقميّاً. كل ذلك لم يشغله عن العمل على الغاموس الذي كان حلم حياته، فيما تولّت شقيقته رنا شؤون «دار الآداب».

لا أتخيّل «الآداب» من دون سماح ولا أتخيّل فايسبوك من دون سماح، ولا حركة المقاطعة من دون سماح ولا كتب الأطفال من دون تأليف سماح. كتابة كتب للأطفال ليست عملاً أدبيّاً محترماً في عالمنا العربي، لكن سماح وعى أهميّتها وكان يجول على المخيّمات لمشاركة الأطفال القراءة. كان الأطفال والأولاد يتعاملون معه كأحد المشاهير لأنهم نشأوا على قراءة كتبه للأطفال. من المفارقات الحزينة أنّ سماح توفي بعد سنتيْن فقط من وفاة رفيقه وصديقه ماهر اليماني. حركة المقاطعة لن تكون بعده كما كانت في عهده، لكن على كل رفاق درب سماح التعهّد بإكمال الدرب في حركة المقاطعة كما في إنتاج مجلّة «الآداب» وفاءً لرسالة الراحل العزيز. أكاد لا أصدّق أنني أرثي سماح إدريس. أرثي سماح، لكن لا أرثي القضيّة التي حملها على منكبيْه طيلة حياته. وداع الرفاق والأصدقاء أسهل على المؤمنين مما هو على الملحدين. المؤمنون يتوقون للقاء الأحبّة، أما الملاحدة فليس لهم إلا فراق يعلمونه أنّه قاطع ونهائي.

على الغلاف

وداعاً رفيق سماح... #الإنسان_القضيّة وحبيب فلسطين

ناقد الوعي «النقدي»

سيف دعنا *

«إنّ وطننا، الوطنَ العربي، في مأساة لا لأنّنا ابتُلينا بأنظمةٍ مستبدّةٍ فحسب، وبأطماعٍ إمبرياليةٍ وصهيونيةٍ متعجرفةٍ فقط، بل لأنّنا أيضاً إزاء تراجُعٍ حادٍّ في الوعي النقدي الحقيقي» (سماح إدريس. «نقد الوعي النقدي: كردستان-العراق نموذجاً»)

قبل أكثر من ألف عام، كانت الأضواء مطفأة في أوروبا، لكنّها كانت مضيئة وساطعة في القاهرة، كتبت جانيت أبو لغد في كتابها العبقري «ما قبل الهيمنة الأوروبية». لكنّ مصر اليوم «تتخلّف (حتى) عن الدول الأخرى ذات الدخل المتوسّط من حيث القدرة الصناعية، فضلاً عن كونها أكبر مستورد للقمح في العالم»، كما كتب كيفان هاريس في «نيولفت ريفيو». فعلى الرغم، مثلاً، من انخفاض واردات مصر من القمح بنسبة 10,9% في عام 2019-2020، وعلى الرغم من زيادة واردات القمح لسبعة من أكبر عشرة مستوردين في ذات الفترة (بشكل ملحوظ في بعض الحالات) بما في ذلك الصين، لا تزال مصر، وبفارق كبير، المستورد الأكبر بتبعيّة رغيف الخبز وتفكيك القاعدة الصناعية المصرية في الحرب مرّتين في قرنين متتاليَين (والخبز، أو القمح، في النهاية هو علاقة اجتماعيّة قبل أن يُصبح شيئاً. هو علاقة تاريخيّة وعلاقة قوة مستمدّة من الصراع الطبقي). ولأن سياق التبعية وإنتاج التخلّف كلّي وشمولي، ربّما يكون أحد أخطر تبعاته أيضاً ما يُصيب المعرفة والفكر من تبعية تصل أحياناً حد استدخال الهزيمة واستعمار العقل، وحتى استعمار الخيال، من قبل مفكّري ومثقّفي البلدان المستعمَرة أنفسهم. فظروف الهزيمة وشروطها القاسية في الحالة المصرية في المرتين (1840 و1967) استولدت فكرها وثقافتها ومثقفيها أيضاً. ولأن علمَ الأفكار، أو يُشترى بالعملة المحلّية، بل خبزٌ تاريخيّ بامتياز، كما يقول أنجلز، لا يمكن إدراك مجالات المعرفة الفردية إلا بوضعها في سياق تاريخي.

لهذا، ووسط جهود القرن التاسع عشر لما عرف بالتجديد الفكري، حاول المثقّفون المصريّون والعرب التوفيق والمواءمة بين الفكر النهضوي عموماً (والفكر الإسلامي في حالة تجديد الفكر الإسلامي خصوصاً) والاقتصاد السياسي الأوروبي. هكذا استندت أغلب هذه المحاولات إلى مسلّمة قاتلة تروّج لذاتية أسباب الأزمة والحل، فتمثّل ذلك في سلسلة من المقاربات الحضارية الكارثية (الأورو-مركزية) للهزائم العسكرية والسياسية ستتكرّر لاحقاً في نكبة فلسطين 1948، وخراب العراق مرّتين في عقدين متتاليين (1991 و2003). طبعاً، يمكن إلقاء اللوم على الأدوات النظرية والمعرفية السائدة حينها، عدا عن السياق التاريخي الاستعماري العام لإنتاج المعرفة في حالة مصر لفهم أسباب قصور نصوص كـ«تحرير المرأة» لقاسم أمين، أو بعض نصوص رفاعة الطهطاوي وغيرهما، وحتى الردود المحلية عليها.

ما علاقة الرفيق سماح إدريس بكل ذلك؟

> التفكير النقدي الحقيقي هو تحرّري الطابع وثوري الدافع

اللبنانية، في افتتاحية «الآداب» بـ«الجغرافيا السياسيّة للخبز»، خصوصاً أنه، كما جادلا، «ليس هذا، في الحقيقة، خبزاً منتجاً محلّيّاً، أو يُشترى بالعملة المحلّية، بل خبزٌ يُشترى بالدولار من الخارج (أميركا)، ومن ريح تخصل في سياق الجغرافيا السياسيّة للمنطقة (وأقطارها) وشروطه». التقسير ضروري إذن لأنه أبعد من مصر أيضاً.

مصرنة الوطن العربي

في العقد الرابع من القرن التاسع عشر، بدأت الأضواء تعود للقاهرة، وكانت معها عودة العرب للتاريخ، كفاعل إقليمي ودولي، تصبح أمراً واقعاً. ففي الثامن من نيسان (أبريل) 1833، وبعد الانتصارات الكبرى للجيش المصري في فلسطين، سوريا، اليونان، ووصوله حتى مدينة قونيا التركية، وضعت «اتفاقية كوتاهية» حدود مصر الشمالية (أو الدولة العربية الناشئة حينها) عند مضيق كوك في جبال طوروس. وبعدها بست سنوات، في 24 حزيران (يونيو) 1839، استكمل الإنجاز بسحق الجيش المصري جيش السلطنة العثمانية في معركة نصيبين التي كان يمكن أن تكون المعركة الأخيرة على طريق تحقيق استقلال العرب وتأسيس دولتهم. لكن في عام 1840، أي بعد هذا الانتصار بأقلّ من عام، دخلت البحرية البريطانية والنمساوية مياه الإسكندرية وقامت بقطع خطوط الإمداد المصرية، فارضة بالقوة اتفاقيات استسلام تضمنت في ما تضمنت سلسلة من التنازلات التي فرضت على مصر محمد علي بالقوة وتحت الإكراه. هكذا فُتحت الأسواق المصرية أمام السلع ورأس المال الغربي، فكّك جيشها (تم تحديد عديده بـ18 ألفاً فقط وتحديد نوعه وحجمه وتسليحه) ودُمّرت قاعدتها التصنيعيّة (أصبحت مصر تستورد المصنوعات الأوروبية وتصدّر المواد الأولية فقط). هكذا أُخضعت مصر لعملية تقليدية، لكن سريعة، من إنتاج التخلّف في التنمية استمر لأكثر من قرن، حتّى جاء الرئيس جمال عبد الناصر ليواجه مشروعه العربي الجديد أيضاً بردود عسكرية خارجية انتهت بإنتاج النموذج الساداتي التي تسعى الإمبريالية الغربية لتعميمه على كل أقطار الوطن العربي والجنوب: تفكيكها وإعادة بنائها وفق النموذج الساداتي الذي أثبت فعاليّته لصالح الاستعمار الغربي، نيوليبرالية اقتصادية، معاهدات سياسية مع العدو الصهيوني، تحالف مع العدو ضد المقاومات العربية، وغير ذلك في سياق خضوع تام لمتطلبات المصالح الإمبريالية.

لكن القصة المصرية لم تكن محصورة بتبعيّة رغيف الخبز وتفكيك القاعدة الصناعية المصرية في الحرب مرّتين في قرنين متتاليَين (والخبز، أو القمح، في النهاية هو علاقة اجتماعيّة قبل أن يُصبح شيئاً. هو علاقة تاريخيّة وعلاقة قوة مستمدّة من الصراع الطبقي). ولأن سياق التبعية وإنتاج التخلّف كلّي وشمولي، ربّما يكون أحد أخطر تبعاته أيضاً ما يُصيب المعرفة والفكر من تبعية تصل أحياناً حد استدخال الهزيمة واستعمار العقل، وحتى استعمار الخيال، من قبل مفكّري ومثقّفي البلدان المستعمَرة أنفسهم. فظروف الهزيمة وشروطها القاسية في الحالة المصرية في المرتين (1840 و1967) استولدت فكرها وثقافتها ومثقفيها أيضاً. ولأن علمَ الأفكار، أو يُشترى بالعملة المحلّية، بل خبزٌ تاريخيّ بامتياز، كما يقول أنجلز، لا يمكن إدراك مجالات المعرفة الفردية إلا بوضعها في سياق تاريخي.

لهذا، ووسط جهود القرن التاسع عشر لما عرف بالتجديد الفكري، حاول المثقّفون المصريّون والعرب التوفيق والمواءمة بين الفكر النهضوي عموماً (والفكر الإسلامي في حالة تجديد الفكر الإسلامي خصوصاً) والاقتصاد السياسي الأوروبي. هكذا استندت أغلب هذه المحاولات إلى مسلّمة قاتلة تروّج لذاتية أسباب الأزمة والحل، فتمثّل ذلك في سلسلة من المقاربات الحضارية الكارثية (الأورو-مركزية) للهزائم العسكرية والسياسية ستتكرّر لاحقاً في نكبة فلسطين 1948، وخراب العراق مرّتين في عقدين متتاليين (1991 و2003). طبعاً، يمكن إلقاء اللوم على الأدوات النظرية والمعرفية السائدة حينها، عدا عن السياق التاريخي الاستعماري العام لإنتاج المعرفة في حالة مصر لفهم أسباب قصور نصوص كـ«تحرير المرأة» لقاسم أمين، أو بعض نصوص رفاعة الطهطاوي وغيرهما، وحتى الردود المحلية عليها.

ما علاقة الرفيق سماح إدريس بكل ذلك؟

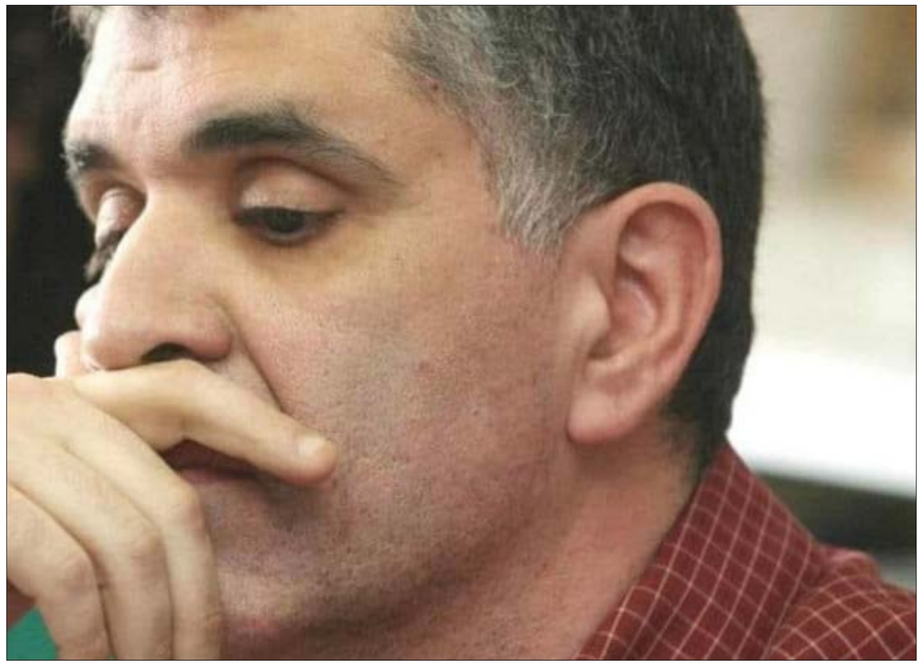

ما حصل في مصر الحبيبة مرّتين في أقلّ من قرنين، تكرّر في نموذج ما بعد خراب العراق الأول والثاني في عقدين متتاليين. لكن، ما يكشفه لنا سماح إدريس في هذه الحالة يُشير إلى أنه يتضمّن أكثر من مجرّد غياب الحس التاريخي لبعض كاتبي النصوص لتبنّيهم أدوات نظرية ومعرفية وحتى لغوية، أو حتى قبولهم بافتراضات الرؤية الأورو-مركزية لوطننا العربي وللعالم والتاريخ والقبول بأدواتها النظرية والمعرفية. فإذا كان يمكن فهم قصور نصوص قاسم أمين ورفاعة الطهطاوي وكثيرين غيرهما من دعاة النهضة والتجديد وفق قاعدة العبء الجديد لاستعمار (الذي يقضي على العامل الاقتصادي والاجتماعي لمشاريع وأفكار التحرّر عبر منهجية إنتاج التخلف وتجريد بلادنا بالقوة من قدراتها التنموية الذاتية، كما يقول علي القادري) فإن بعض ما رأيناه في العراق، ولاحقاً سورياً، يتجاوز ذلك ليصل حد التطوّع للاستعمار. فهناك من لم يكتفِ بالتَخَنْدُق طوعاً للاستعمار، لكنّهم يسوّقون خياناتهم المعرفية (والوطنية) تحت يافطة ومزاعم القومية المستبدّة، والظلامية الإسلامية، واليسار الديكتاتوري... لكنّهم لا يلبثون أن يَمتدحوا الاعتدال السعودي والوهّابي والجنيلاطي، والمرونة المصرية، والواقعية الفلسطينية، والعقلانية الغربية».

هذا التشخيص للمشهد الصحافي والصحافة الثقافية العربية ليس فقط دقيقاً، لكنه عميق ويحيلنا في جانب منه إلى ذات الإشكالية المتأصّلة في ادّعاء «الفكر النقدي» وإصراره على إلقاء اللوم على البُنى التقليديّة المتخلّفة، والغيبية العربية، كما العقل العربي، إلخ، وتجاهل السياق التاريخي الأكبر المتمثّل في الهيمنة الغربية ودور أدواتها الإقليمية. ولأنّ سماح، مثل الكثير من المناضلين الحقيقيّين، من مدرسة «فتّش عن إسرائيل» أيضاً، فإنه يفضح المسكوت عنه (تحديداً في كردستان العراق) من مدعي «الحرية البائسة»، كما يسمّيها. فالفيل الكبير في كل الغرف العربية (من الثقافة إلى السياسة والاقتصاد والاجتماع والأمن)، هو «إسرائيل». وفي حالة كردستان، كان للكيان الصهيوني دور أساسي (يكفي أن تراجع مقال سماح الموثّق جداً في هذه النقطة تحديداً)، لترى تفاصيل العلاقة الاقتصادية والأمنية والسياسية. ولأن الاختراق الصهيوني لا يمكن أن يكون لمصلحة العراق أو إخوتنا الأكراد، فإن «نقد الوعي النقدي» يذكّرنا بأنّ «أكثر الصحافيّين البريطانيّين العرب نُسُوا مَنْ دَمّر كردستان». هل تريدون دليلاً؟ اقرؤوا مقال سماح إدريس، وأنصح بقراءة المقال مرتين، مرة لتعرفوا ماذا حصل فعلاً ومرة أخرى لتقارنوه بما يحصل في أماكن أخرى من وطننا العربي، لتعرفوا أنّ ما كشفه سماح هو النموذج الجديد للمثقف المتطوع في خدمة الاستعمار.

وسماح لم يكتفِ بكل ذلك، بل أيضاً يفكك وببراعة كل الادعاءات التي ترافقت مع احتلال العراق من قبل هذه الفئة من المثقّفين البائسين (حقوق الإنسان، الحرية، المرأة، الوعي النقدي، «إسرائيل»، حرية التعبير، إلخ) ويعرّيها تماماً ويكشف حقيقتها (كأدوات للحرب والخراب على بلادنا). وحقيقة من يروّجون لها من مثقّفي المارينز (كجنود في المشروع الإمبريالي لخراب بلادنا). لكن الجانب المهم تماماً لفهم المشهد بعمق، أي التشخيص النظري، وهو برأيي وظيفة العلوم الاجتماعية والإنسانية الأساسية (قبل أن يتم تحريف المعرفة العلمية وفق المنهج الوضعي إلى سلسلة من الإجراءات الموحدة)، هو ما يضيف قيمة مهمة لمقال سماح:

«طبعاً، هذا التحوُّل لم يأتِ وليدَ الساعة الراهنة، بل هو نتيجةُ لعقودٍ من المزاوَجة بين الإحباطات، وعقودٍ من تراجعات اليسار، وعقودٍ من توزيع الجوائز والألقاب والأوسمة والوعود الرسمية والغربية على المثقفين العرب، وعقودٍ من «الاستضافات» العربية والغربية وتذاكر الدرجة الأولى وفنادق النجوم الخمسة. لكنه بات يترافق، منذ سنوات أيضاً، مع تنظير ممِلّ ضدَّ ما يسمّيه الليبراليون الجدُد بـ«الشعاراتية الفارغة»، في هذا التشخيص، يمكن أن نجد هذا الفارق بين سماح المثقف الملتزم بقضايا أمّته وقضايا المضطهدين أينما كانوا، وبين غيره من مثقفين (وأيضاً صحافيين مهتمين بالشأن الثقافي) إما قاموا بتغطية المهرجان أو علّقوا عليه. سماح لم يكن أكثرهم دقة وعمقاً وإدراكاً للطبيعة الحقيقية لما يجري، وللسياق الأوسع، عدا عن فضح المقولات الأيديولوجية والدعائية التي أتخمت بها مقالات الترويج للمهرجان، فهذا قد يقوم به أي مثقف مجتهد. ما ميّز نص سماح وخطابه (المهذّب جداً في الحقيقة، كما هو سماح) أيضاً هو الجرأة على التشخيص، والشجاعة لكتابته ونشره ودفع الثمن. قلة من القرّاء تعرف فعلاً وحقاً الثمن الذي يدفعه بعض المثقّفين الشرفاء فقط لجراتهم على الكتابة أو الحديث ممن يريدون لنا أن نعيش ونموت كالعبيد، أو من هم خلفهم.

بيروت سماح

كان من المفترض أن يكون هذا المقال عن صديقي ورفيقي سماح إدريس الإنسان، لكني آثرت أن ألفت نظر القرّاء إلى سماح المثقف (لأنّي أعرف أن هذا مصدر فخر أهم بالنسبة له)، وأردت لفت النظر إلى تلك المقالة تحديداً كنموذج للتفكير النقدي الحقيقي، حيث يفكّك وينقد ببراعة ويتوثيق مقولات الغرباويّين مدّعي التفكير النقدي. والتفكير النقدي عندهم لا يعني في نهاية المطاف أكثر أن نكره من نحن ومن نكون عبر الترديد ببغائية مفردات ومفاهيم استشراقية عنصرية ومقولات إيديولوجية تتماهى مع متطلبات المشروع الإمبريالي الغربي. ومن سماح نتعلم أنّ التفكير النقدي الحقيقي هو تحرّري الطابع وثوري الدافع. هكذا يكون الفرق بين المثقّف الحقيقي، كتائر، والمثقّف المزوّر، كاداة في مشاريع الخراب الخارجية.

كنت محظوظاً جداً بأن عرفت سماح شخصياً وعن قرب، وكنت محظوظاً أن أراه في كل زيارة لي لبيروت تقريباً، عدا عن التواصل الدائم عبر الإيميل أو الهاتف، كما كانت الكتابة لـ«الآداب» مرات عدة أيضاً فرصة أخرى للتعرف أكثر إلى سماح وإلى جوانب مختلفة من شخصيته. ما لم أقله لسماح إنّه في زياراتي لبيروت، عرفت أو تعرّفت على أكثر من مدينة، أو على طبقات مختلفة، وحتى متمايزة، من هذه المدينة، وكان لي في كل منها تجربة مختلفة، حتى ليبدو كأنها فعلاً مدينة مختلفة. هناك بيروت إبراهيم الأمين، بيروت بيار أبي صعب، بيروت علي القادري، بيروت قاسم عزالدين، بيروت سماح إدريس، إلخ. لهذا، فحين بدأت كتابة المقال، كنت سأكتب عن سماح وعن بيروت سماح التي عرفتها معه، لكن مقاله عن النقد الأدبي دفعني للكتابة عن سماح المثقّف والناقد الأدبي، لكن، لأنّ لدي الكثير ساكتب، وقريباً، عن سماح الإنسان، الصديق، الرفيق الجبهاوي، المُحرر، المدقق اللغوي الفخور بلغتنا العربية الذي لا تفوته فاصلة أو نقطة، المناضل وقائد حملة المقاطعة، وعن بيروت التي عرفتها معه. سأكتب قريباً لتعرفوا سماح أكثر، لأنه يستحقّ أن نعرفه أفضل وأن نعرفه أكثر.

ولسماح أقول: يوماً ما، وأمل أن يكون قريباً، ستضيء أضواء وطننا العربي ومدنه مرة أخرى، وستكون مشرقة وساطعة كما لم نعرفها، وكما لم يعرفها العالم، من قبل. يومها، ستكون فلسطيننا الحبيبة كلها حرة حقاً، وستكون جزءاً من وطن عربي كبير حرّ حقاً، ومستقل حقاً. يومها، حين يتحقق حلمنا بتحرير فلسطين والوحدة العربية، سيتذكر الناس مناضلين حقيقيّين ومثقّفين شرفاء تركوا أثراً على طريق هذا الهدف النبيل. سيتذكرهم الناس جيداً، وسيكون منهم وبينهم سماح إدريس.

ملاحظة: كُتب هذا المقال أساساً كتحية للرفيق سماح وهو يقاوم المرض في اللحظات الأخيرة. ورغم كل ما عرفته عن حالة سماح الصحية، ظلّ الأمل يراودني بأن ينتصر على المرض. الآن أدرك أن طريقة صياغة المقال كانت حيلة لتجاوز قسوة الحديث عن الرحيل، لروحه السلام.

* كاتب عربي

> الجبهة الشعبيّة لتحرير فلسطين: لم تسقط من يده راية المقاومة

نعت «الجبهة الشعبيّة لتحرير فلسطين» (قيادة فرع لبنان) الراحل سماح إدريس. وجاء في البيان: «تنعى الجبهة إلى جماهير شعبنا الفلسطيني وأمّتنا العربيّة وإلى كل الأحرار في العالم المناضل القومي واليساري المثقّف والأديب د.سماح إدريس. لقد غادرنا المناضل الكبير بعد صراع مرير مع المرض، وبعناد كما عوّدنا في مقارعة القوى المعادية لفلسطين، غادرنا سماح ولم تسقط من يده راية المقاومة كما لم تبرح فلسطين من فؤاده. تتقدّم الجبهة بخالص التعازي إلى عائلته الكريمة ورفاق دربه من أسرة الآداب ورفاق القلم والثقافة والموقف. نعاهد رفيقنا بأن نبقى أوفياء للمبادئ التي قضى حياته متمسكاً بها ومناضلاً على هديها. المجد والخلود لفقيد الأمة... فقيد فلسطين.. والنصر لأمتنا..

هوّنتَ عليَّ الموت... يا سماح

نجاد واكيم *

لو كان سهيل إدريس بيننا اليوم. لو كان ذلك الأديب الرائع الذي كانت الكلمات تجري على لسانه بسلاسة وتنهمر من قلمه بغزارة، وتسيل منه الأفكار والمعاني في الأودية والسهول أنهاراً وجداول.

لو كان بيننا اليوم ماذا كان يقول؟

كان سينزوي في أعماق أحزانه، أو يجلس على حافة الدنيا وعيونه تائهة في الفراغ.

فالدنيا من دون سماح فراغ.

والزمن من دون سماح فراغ.

وفضاءات القلب والوجدان من دون سماح فراغ، إلا من الأحزان الموغلة في الصمت، في أعماق الصمت.

كان سهيل إدريس سيصمت، وكانت عيناه التائهتان في الفراغ، لا يملأهما سوى دمعتين هما بحجم كل فضاءات العالم.

كان سهيل سوف يصمت، فلماذا عليّ أنا أن أتكلم؟

لماذا أنا، وقد كان سماح لي ومني تماماً كما كان لسهيل إدريس ومنه؟

يا سماح لقد خنقت صوتي، وكسرت قلمي، وكسرت قلبي.

يا سماح لقد هونت عليَّ الموت.

* نائب سابق ومؤسّس «حركة الشعب»

منارة أمل وفكر ونضال ثوريّ

عمر البرغوثي *

منذ عرفته كطالب في جامعة «كولومبيا» في مدينة نيويورك، قبل ما يُقارب أربعة عقود، كان سماح دوماً ولا يزال منارةَ أمل وفكر ونضال ثوريّ لا يعرف الكلل، وصاحبَ ابتسامةٍ سهلة، مُطَمْئِنة حتى في أحلك الأوقات. عندما كنا نعمل سوياً، مع زملاء آخرين، على تنظيم نشاط في الجامعة دعماً لفلسطين ونواجه حملات التشويه والشيطنة والقمع من العدد الكبير من المنظمات الصهيونية في الجامعة وداعميها في إدارة الجامعة، كنا نغضب ونيأس حيناً ولكن دوماً نُصِرّ - بما أسماه سماح لاحقاً «التيَسّنة الثورية» - على المُضيّ قُدُماً رغم كل شيء في تنظيم النشاط. ورغم قلة عددنا وتكالب الأعداء علينا، نجحنا في خلق حالة توعوية مميزة شكّلت نواةً لنضال طلابي متصّل لاحقاً.

عدا مساهمته المعهودة فكرياً وعملياً في هذه السيرورة، كانت روح سماح المتسامحة والمُرحة تُعطي عملَنا دفئاً ونكهة خاصة، بالذات حين كان يكرّر في كل مناسبة، وأحياناً بدون مناسبة، هجاءه للنَكَد الفلسطيني، منهياً جملته بـ «يا لطيف!»

لكن سماح لم يكن يوماً يسوعَ المسيح أو الأم تيريزا، لا تسيئوا فهمي. فإن كان متسامحاً داخل «معسكر الأصدقاء»، فهو بعكس اسمه، لم يكن متسامحاً أبداً مع من اقتنع بإنهاء/ن باعوا مبادئهم للسُلطة، أي سُلطة، أو انغمسوا بغلاف نيوليبرالي في التطبيع مع إسرائيل، التي لم يكن ليقبل بوجودها حتى في كتاباته سوى بين مزدوجَيْن، كالمارّة بين الكلمات العابرة، كما قال درويش يوماً. المبدأ بالنسبة إلى سماح، يأتي أولاً وعاشراً، يرفض البوعة في الموقف بالذات حين يقتضي الأمر الحسم. وغالباً ما يرى سماح أنّ الأمور تقتضي حسماً مماثلاً. لكنّه بقدرته على التطوّر والارتقاء، بذاته فكراً وتضالاً، ومع خبرة سنين من العمل الميداني في معترك الثقافة والمجتمع والسياسة، طوّر سماح إدراكه للمساحة الرمادية الواسعة بين الصديق والعدوّ، وازداد تقديرُه لضرورة التحالف التكتيكي مع من اقترب من الحق والعدالة، من منظوره، لجذبه أكثر نحوهما، ولو لم يكن «نقيّاً» وفضاءات القلب والوجدان من دون سماح فراغ.

الوراثة النبيلة

معن بشور *

لا يُذكر اسم الدكتور سماح ادريس في مقام أو لقاء إلا وتقفز في الذهن صور ثلاث في وقت واحد. الصورة الأولى هي صورة مجلّة «الآداب» التي لعبت، وما زالت، على مدى عقود دوراً رياديا في الحياة الأدبية والثقافية العربية التي انطلق من رحابها بعض أكبر الأدباء والشعراء العرب الذين يذكرون لمؤسّسها الراحل الدكتور سهيل ادريس فضله في إتاحة الفرصة لهم لكي يتعّرف إليهم أبناء أمّتهم.

وبعد رحيل الأب المؤسّس، نجح الابن سماح في تأمين استمرار صدور المجلّة الرائدة، بل وفي تحويلها إلى منتدى ومنبر للعديد من الكتّاب والأدباء والمثقّفين السكوتين بهموم أمّتهم، مؤكّداً أنّ الوراثة النبيلة ليست وراثة الجاه والمال والنفوذ، بل وراثة الأدب والفكر والإبداع والنضال.

أما الصورة الثانية التي تقفز إلى الذهن مباشرة، فهي صورة «مقاطعة العدو الصهيوني وداعميه» التي حملها الدكتور سماح منذ سنوات عدة، من خلال حملات المقاطعة، لا سيّما B.D.S ، امتداداً لحياة نضالية طويلة منذ أن كان طالباً في الجامعة الأميركية، وعضواً فاعلاً في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وصديقاً حميماً لمؤسس الجبهة الحكيم الراحل الدكتور جورج حبش.

إنّ دور سماح وإخوانه في حملات المقاطعة أسّست بشكل واضح للعديد من فعاليات وهيئات مناهضة التطبيع التي قامت في كثير من الدول العربية، ناهيك عن مدن وعواصم وجامعات عالمية.

أما الصورة الثالثة التي يحملها ذكر اسم سماح ادريس، فهي صورة والده الأديب الكبير والروائي المميّز سهيل ادريس الذي لم تكن روايته الجريئة والجميلة مصدر اهتمام لي ولملات الآلاف من القرّاء اللّبنانيّين والعرب فحسب، بل كانت شجاعته كمثقّف وأديب هي ما أذكره دوماً له حين أقفلت معظم المنابر الثقافية في وجه لقاءات تضامنية مع العراق ضد الغزو الأميركي عام 1991، إلاّ منبر «اتحاد الكتّاب والأدباء اللّبنانيّين» الذي كان الدكتور سهيل أمينه العام، وقد فتح أبوابه لفعاليات تضامنية ثقافية شارك فيها شجعان من أهل الفكر والقلم، وصدرت عنها وثيقة تلاها الدكتور أنطوان سيف، الأمين العام لـ «الحركة الثقافية» في انطلياس.

أستعيد هذه الصور الثلاث من وحي «مثقف عضوي» بكل ما في الكلمة من معنى، هو الدكتور سماح ادريس، وقد ودّعنا بعد معاناة قاسية مع مرض عضال، لأنّ أمثال سماح من أصحاب المبادئ المقرونة بالعطاء الفكري والثقافي باتوا قلّة في مجتمع تتدهور فيه القيم السامية ليحلّ محلها الارتزاق والاستعراض. رحمه الله والعزاء لذويه وكل محبيه

* كاتب وسياسي لبناني

مواد اخرى على موقعنا

الأخبار
al-akhbar
السبت 27 تشرين الثاني 2021 العدد 4499

صورة وخبر

استعادت سوريا أخيراً، ثلاث قطع أثرية سُرقت قبل سنوات من مدينة تدمر التي تُعدّ أغنى المواقع الأثريّة في سوريا. القطع المسروقة تشتمل على رأس كاهن، وقطعتين مدفنيّتين تعودان إلى القرنين الثاني والثالث، وقد تسلّمها مندوب سوريا لدى مكتب الأمم المتحدة في جنيف السفير حسام الدين آلا من متحف «الفن والتاريخ السويسري» أخيراً. وبخلاف المتوقّع، فقد وصلت القطع إلى سويسرا قبل الحرب السورية، وقبل أن تتعرّض المدينة الأثرية (المدرجة في سجل التراث العالمي لدى «اليونسكو» منذ عام 1980) لاعتداءات من قبل تنظيم «داعش» عام 2015. إذ كانت قد وصلت إلى سويسرا بين 2009 و2010، بطريقة غير شرعية. وبعدما ضبطتها السلطات هناك، تمّ عرضها في المتحف المذكور سنة 2017، من أجل التوعية حول موضوع الآثار المنهوبة خصوصاً في أماكن النزاعات، إذ عُرضت حينها إلى جانب آثار مسروقة من ليبيا واليمن. وقد قبعت هذه القطع في «متحف التاريخ والفن السويسري» قبل إعادتها إلى سوريا أخيراً بعد إجراءات قضائيّة وديبلوماسيّة (أحد اللوحين المدفنيّين المستعادين – تصوير: ف. بيفيلاكوا - «متحف الفن والتاريخ» السويسري)

كمان «حاف»... مع طوني جدعون

يوم الثلاثاء المقبل، يقيم «مترو المدينة» حفلة ضمن «موسيقى حاف» مع عازف الكمان طوني جدعون (الصورة). سلسلة «موسيقى حاف» عبارة عن مجموعة من المواعيد الفنية المخصّصة للاستمتاع بالموسيقى حصراً والابتعاد عن الأجواء القاتمة التي تخيّم على البلاد، يُحيي كلّ منها عازف أو أكثر يعرّف الحاضرين على مزاجه ومهاراته وموهبته. علماً بأنّ المواعيد التي ستجري بدعم من «مبادرة دعم الموسيقى في بيروت»، مجانية مع ضرورة الحجز المسبق.

حفلة «موسيقى حاف» مع طوني جدعون: الثلاثاء 30 تشرين الثاني (نوفمبر) الحالي ـ الساعة التاسعة مساءً ـ «مترو المدينة» (الحمرا ـ بيروت). الدخول مجاني. للاستعلام والحجز: 01/753021 و 76/309363

أيّ دور للنخب... في مواجهة التطبيع؟

في اليوم العالمي للتضامن مع الشعب الفلسطيني (يصادف في 29 تشرين الثاني/ نوفمبر من كلّ عام)، يدعو «التجمّع الأكاديمي في لبنان لدعم فلسطين»، بعد غدٍ الاثنين للمشاركة في لقاءٍ حواري بعنوان «دور النخب المثقفة في مواجهة التطبيع» في قرية الساحة التراثية (طريق المطار). تشارك في النشاط المرتقب مجموعة من الشخصيات الفلسطينية واللبنانية، هي: المطران عطالله حنا (الصورة)، عباس إسماعيل، المفتي الشيخ أحمد قبلان، صفيّة سعادة وسنية الحسيني، على أن تلقي رنا شكر كلمة التجمّع وتتولّى ليلى شمس الدين ولور أبي خليل مهمّة التقديم والإدارة.

«دور النخب المثقفة في مواجهة التطبيع»: الاثنين 29 تشرين الثاني الحالي ـ الساعة الثالثة بعد الظهر ـ قرية الساحة التراثية (طريق المطار).

لبنان في البندقية: تحية إلى إيتيل عدنان

بالتزامن مع انتهاء الدورة 17 من «المعرض العالمي للعمارة» في «بينالي البندقيّة»، اختتم الجناح اللبناني فعالياته بتكريم الفنانة والشاعرة الراحلة إيتيل عدنان ضمن أمسية تحتفي بواحدة من أبرز الوجوه الشعرية والفنية في العام العربي والعالم.

وقد جاء هذا التكريم استكمالاً لمشروع المعمارية اللبنانية – الفرنسية هلا ورده بعنوان «سقف للصمت» من قصيدة لإيتيل عدنان بعنوان «أوليفيا: إجلال لإلهة شجرة الزيتون». إذ كانت ورده قد أنجزت تصميم مشروعها بالاستناد إلى الأساطير والخرافات التي اشتهرت بها أشجار الزيتون الستة عشرة في لبنان التي يبلغ عمرها آلاف السنين. وفي عملها، تطرّقت ورده إلى مفهوم التعايش من خلال تصميم متخيّل لمساحات صمت تتداخل فيها العمارة والرسم والموسيقى والشعر والفيديو والفوتوغرافيا برفقة صور اللبناني فؤاد الخوري.

الاحتفال الختامي الذي وجّه تحيّة إلى عدنان وتركتها الفنية الغنية، حمل رمزية مضاعفة، حين استبدلت أنوار الجناح بشموع تستحضر ما خلّفه انفجار الرابع من آب على العاصمة اللبنانية.

من الحفلة التكريمية في الجناح اللبناني

فالتصميم الذي سينتقل إلى «قصر طوكيو» في باريس في نيسان (أبريل) 2022، وبعدها إلى «متحف دير جوميج» في النورماندي، سلّط الضوء على التحديات التي تحول دون إعادة بناء التراث الثقافي والمعماري الذي تضرّر بعد الانفجار في بيروت. إذ طوال مدّة البينالي (6 أشهر)، تعاون الجناح اللبناني مع مبادرة «بيروت للتراث» التي تولّت العمل على الترميم منذ الأيام الأولى للانفجار، وقد أتيح لها خلال البينالي أن تعرض أنشطتها في الجناح.

مريم صالح: حديث في الفنّ

يضرب الشاعر والإعلامي اللبناني زاهي وهبي موعداً مع الفنانة المصريّة مريم صالح (الصورة) في برنامجه «بيت القصيد» مساء اليوم على قناة «الميادين». سيتعرّف المشاهد عن قرب إلى صالح، التي ستتحدّث عن أحدث أعمالها، وتجربتها الغنائية، خصوصاً مع شريكها تامر أبو غزالة وموريس لوقا في ألبومها «الإخفاء». صالح التي نشأت على سماع أغنيات سيد درويش والشيخ إمام، ستتطرّق إلى استعادتها لأعمال مختلفة من التراث المصري، بأسلوبها الخاصّ، مثل أغنيات الشيخ إمام، والفنان الشعبي أحمد عدوية. سيعرّج الحوار على ظاهرة «فناني المهرجانات» وتجربة صالح في التمثيل وعلاقتها ببيروت، وأيضاً بوالدها المسرحي الراحل صالح سعد.

«بيت القصيد» مع الفنانة المصريّة مريم صالح: 21:00 مساء اليوم على قناة «الميادين»

الأخبار
al-akhbar

السبت 27 تشرين الأول 2021
العدد 4499 السنة السادسة عشرة
Samedi 27 Novembre 2021 nº 4499 16ème année

كلمات

ملحق
أسبوعي

www.al-akhbar.com

ذكرى

فاطمة المرنيسي... ما بعد النسوية

«شهرزاد» حرّرت السوسيولوجيا المغربيّة... وأَنصتت لـ «المنسيّات»

أشرف الحساني

يوم الثلاثاء المقبل، تحلّ ذكرى رحيل فاطمة المرنيسي (مواليد فاس 1940 ــ 30 تشرين الثاني/ نوفمبر 2015)، على مدار ستّ سنوات من رحيلها، ظلّت صاحبة «ما وراء الحجاب» سيّدة البحث السوسيولوجي النسوي في المغرب بامتياز. إلى جانب عبد الكبير الخطيبي، وبول باسكون، قدّمت كتاباتها صورة عن مغرب سوسيولوجي خارج من قهر السوسيولوجيا الغربية ونزعتها الكولونيالية المركزية. كانت كتابات المرنيسي زمن السبعينيات والثمانينيات، تُشكّل فتحاً معرفياً داخل السوسيولوجيا المغربيّة، بخاصّة على مستوى الاهتمام بسوسيولوجيا الإسلام في علاقته بالمرأة وفهم واقعها ومأزقها داخل مجتمع ذكوري. من ثَمّ، كان البحث السوسيولوجي بالنسبة إليها يتخذ بُعداً تاريخياً وأركيولوجياً. ذلك أنّها لم تكتفِ بما عرفته المرأة في البوادي والمُدن من عنفٍ وتهميش، بل ظلّت مُؤلّفاتها ترزح تحت ثقلٍ تاريخي تُنقّب فيه عن مكامن الخطأ داخل الموروث العربي الإسلامي. جاءت أطروحتها الجامعية حول المرأة والحجاب داخل المُجتمع الإسلامي نقداً مُعلناً لهذا الموروث. هكذا انكبّت المرنيسي لسنواتٍ طويلة على تشريح أفق العلاقة بين المرأة وتمثّلاتها داخل الإسلام، انطلاقاً من براديغم الحجاب والحريم والذكورية والجنس. ولأنّ التفكير السوسيولوجي في ذلك الحين، لم يكُن مُحبّباً من السُّلطة والمخزن، بعدما قامت الدولة بإغلاق معهد السوسيولوجيا عام 1970، بدت صورة المرنيسي من خلال مؤلّفاتها حول السياسة والدين وعلاقتهما بالجندر كأنّها تسبح عكس التيار السُّلطوي التقليدي السائد.

شكّل إغلاق المعهد انتكاسة حقيقية في وجه سوسيولوجيا مغربيّة ناشئة، جعلت بعض الباحثين يُغيّرون قلاعهم البحثية، صوب مجالاتٍ أخرى من التفكير تتعلّق بالتحليل السياسي وكتابة المُذكّرات والتاليف الإبداعي. والسبب يعود أساساً إلى المكانة التي بات يحظى بها المعهد داخل مجال البحث العلمي، وكيف أضحى ينتج الأسئلة الحارقة حول مغرب الحداثة والتغيير. وهذا الأمر، لم تكُن تقبله السلطة التي عملت منذ البداية على تسييس الدين وجعله سلاحاً إيديولوجياً في مواجهة صنّاع الحداثة داخل المغرب، كتابةً وفكراً وفناً وإبداعاً، رغم أنّ بوادر التحديث السوسيولوجي، كان قد بدأ يطال المغرب منذ بداية السبعينيات على يد كل من بول باسكون وعبد الكبير الخطيبي. منذ بداية مشوارها الأكاديمي، تخلّت عن السوسيولوجيا النظرية الغربية، مُحاولة نسف هذا الآخر المعرفي من كتاباتها، لكنّ بإعطائه بُعداً إجرائياً داخل تحليلاتها السوسيولوجية. لذلك، فإنّ القارئ لـ «هل أنتم محصّنون ضد الحريم؟» و«الجنس كهندسة اجتماعية»، يندهش من قدرة المرنيسي على تشريح واقع المرأة من منظور مختلف. بدت كأنّها تستبدل علم الاجتماع بالتاريخ، والمنهج الكمّي بالأركيولوجي في دراسة براديغم الإسلام والمرأة والإيديولوجيا. مفاهيم ثلاث بقيت تُحرّك أغلب مؤلّفات المرنيسي قديماً وحديثاً. وإذا كانت صاحبة «نساء على أجنحة الحلم» قد ركّزت في تحليلاتها على السياقات التاريخيّة، فذلك يعود بشكل جوهري إلى خصوصية المجال الذي تُساجل فيه. ذلك أنّ التفكير في الإسلام وتمثّلاته للعديد من الإشكالات المرتبطة بالمرأة العربيّة، أمرٌ يستدعي حصافة نقدية وترسانة مفاهيمية قوية وسياحة فسيحة في التاريخ الإسلامي خلال أزمنته المُختلفة والمتبدّلة.

لذا، فالمُتابع لنتاج المرنيسي الفكري، يكتشف، لا محالة، العمق التاريخي الذي تميّزت به كتاباتها. هي تُسافر في التاريخ لا لتبسط لنا وقائعه وأحداثه، بل لدراسته وتشريحه على ضوء المناهج الحديثة. لكنّ المدهش والعجيب في أبحاثها أنّ معارفها النظرية تبدو بعيدة وغير مألوفة داخل الفكر السوسيولوجي الفرنسي (بيار بورديو، نوربير إلياس) الذي ظلّ مرجعاً ونموذجاً لعددٍ من الباحثين المغاربة الجدد. لكنّ عند المرنيسي، تصبح الكتابة قلقاً وجودياً وفعلاً ذاتياً يُنفي إلى حد كبير النظريات البرانيّة الغربية، من خلال إعطاء أهميّة بارزة للعمل الميداني، وجعله مُختبراً لابتكار مفاهيم وابتداع إشكاليات، تعمل المرنيسي على توليفها ومحاولة ربط مضامينها ونتائجها مع ما يوجد في التاريخ العربي الإسلامي.

ولعل السبب في ذلك، لا تتحكّم به نوازع إبيستمولوجية وإنما ذاتية، تكمن في طريقة النظر إلى المجتمع المدني ومُعانقة أوجاع نساء في مناطق بباب من المغرب المنسي، باعتباره معبراً لتأجيج التفكير السوسيولوجي. هنا تنسحب النظرية الاجتماعية إلى الخلف، مُفسحة المجال بقوّة لرصد الواقع وارتباكاته ونضارة التحليل وعمقه. في هذا الأفق، ستبرز المرنيسي كأوّل عالمة اجتماع مغربيّة، عطّلت علاقتها بالسوسيولوجيا الكمّية والرياضية والإحصائية، وتطلق العنان أكثر لمُخيّلتها المعرفية والإبداعية، بطريقة تجعلها تتوغّل عميقاً في التاريخ الاجتماعي للمرأة، إلى درجة أنّ بعضهم أعاب عليها هذا التعدّد المنهجي في مقاربة مفاهيم المرأة والإسلام في

> **شرّحت العلاقة بين المرأة وتمثلاتها داخل الإسلام، انطلاقاً من براديغم الحجاب والحريم والذكورية والجنس**

العصور الوسطى، على أساس أنّ الاستناد إلى التاريخ وأحداثه كارضية معرفية، يُعطل ملكة التحليل ويخفض منسوب التفكير في مفهوم الظاهرة، باعتبارها من معايير وسمات البحث الاجتماعي لا التاريخي.

يبدو ذلك صحيحاً، إذا ما أعدنا تأمّل وتعريف أبحاث المرنيسي الأخيرة وتخليها كلياً عن ملامح السوسيولوجيا كما بلورتها في مؤلّفاتها الأولى منذ أواسط السبعينيات، لتلتصق بشكل هوسي بشخصية شهرزاد، مُحاولة إعادة تمثيل هذه المرأة عبر مجالات متعدّدة من البحث والكتابة والتخييل. مع العلم أنّ اللجوء إلى نمط الكتابة النسوية feminism لم يكُن يُضمر في طيّاته، إلاّ ذلك التحوّل الإبيستمولوجي الرهيب الذي ستشهده السوسيولوجيا المغربية منذ الألفية الثالثة، حيث سيتم استبدال البحث السوسيولوجي ونقده العميق للسلطة المركزيّة وحمولتها القمعية لصالح كتابة أدبية حالمة ونوستالجية تحاكي استيهامات الجسد ومتاهات لا شعوره.

ظلّت مؤلّفاتها ترزح تحت ثقل تاريخي تُنقّب فيه عن مكامن الخطأ داخل الموروث العربي الإسلامي

التنوير المتجذّر في التراث

رشيد وحتي

الرّباط، 2015/11/30: انطفأت في صمت، وهي التي كانت تملأ محيطها بضحكتها المجلجِلة، وكاريزماها وجسارة تصاريحها وتحاليلها.

ولدت عالمة الاجتماع، والباحثة الميدانية والناشطة النسوية فاطمة المرنيسي في فاس عام 1940. ونَشّأت محاطة بعالم النساء، في ما يسمّى «حريماً»، روت عنه بتفصيل في نصها السردي الوحيد: «أحلام الحَرَم، حكايات طفولة في الحريم» (1994). تتلمذت في أولى المدارس المختلطة التي أسّستها الحركة الوطنية، ثم استكملت دراستها في القانون في الرباط، لتحصل على منحة دراسية في السوربون. توّجت هذا المسار الأكاديمي المتعدد التخصصات والمنافع، بالحصول على الدكتوراه من جامعة برانديس الأميركية، بأطروحة تحت عنوان: «ما وراء الحجاب، ديناميكية الذكورة والأنوثة في المجتمع الإسلامي الحديث» (ناقشتها في 1974، ونشرتها في 1975). استحالت الأطروحة إحدى كلاسيكيات الدراسات الثقافية بتناولها ومقاربتها الجديدَيْن، وفق ما أسماه المفكر المغربي عبد الكبير الخطيبي: النقد المزدوج: أي إخضاع مآلات ومتون وخطابات المستعمَر لعملية تفكيكية توجّه فيها سهام النقد للمكونات الارتكاسية في ثقافتنا، بدون إغفال ما تسببت فيه الكولونيالية من تشويه أو كبح للطاقات التحررية الكامنة في تاريخنا ومجتمعنا، نقد الأنا والآخر.

بكتابها «الحريم السياسي» (1997)، الأجْرَأ بين كل مؤلفاتها، خاضت المرنيسي في مناطق كانت ساعتذاك محرَّمة بحثياً، خصوصاً على امرأة تنتصر للمرأة، بتناولها للتشريعات الإسلامية وتمحيصها في الأحاديث وسياقاتها وقراءاتها السياسية المغرضة، لتَخْلُصَ إلى ملاحظة عامّة: طال التهميش النساء عبر التاريخ العربي الإسلامي، ووَصْمَهنّ خارج أي مشاركة في أمور الشأن العام، من خلال ترسانة تشريعية تستند في غالبيتها إما إلى أحاديث ضعيفة أو موضوعة، ثم إلى قراءات متعسِّفة للمتن القرآني. وفي عز استقطاب النظام المغربي للمدّ الوهابي، لمواجهة فصائل اليسار والحركة التقدمية في الجامعات المغربية، مُنع الكتاب من التداول في المغرب، واستنفرت «رابطة علماء المغرب» (دار الإفتاء الوحيدة والرسمية في المغرب، يرأسها ملك المغرب بصفته أميراً للمؤمنين) الإعلاميّيْنِ الرسمي والمحافظ وفقهاء السلطان والحركات المتأسلمة ضدّها في ما يشبه حملة تكفيرية. رغم الحملة الهوجاء، بقيت المرنيسي متمسكة بكل ما جاء في دراستها، لتصرح بشجاعة «أنا فخورة بهذا الكتاب، هو مدعاة لفخري».

توازياً مع اشتغالها الأكاديمي والفكري، خاضت المرنيسي، بدءاً من 1990، وسط المجتمع المدني، معارك من أجل النساء، مؤسِّسة ما صار يسمى «قوافل مدنية»: أحزمة نضالية، شبه كَشْفِيَّة، تتكوّن من مثقّفين وباحثين اجتماعيين ميدانيين وشباب متطوعين، يقومون بتسيير قوافل من الدعم والمساعدة التموينية وحملات التَّوعية لنساء وأطفال المناطق المعزولة والنائية والمهمَّشة في المغرب. كثيراً ما كانت تنتهي هذه الرحلات بإصدار أبحاث سوسيولوجية كتفريغ لمعطيات الجولات الميدانية، تؤطّرها المرنيسي في ورشات بحثية جماعية. وقد توجت هذه الأنشطة بتأسيس مجموعة بحث ودراسات تحت اسم «نساء، أُسَر، أطفال». كرست المرنيسي بقية بحوثها لقراءة نقدية للبطريركية (الأبوية) المهيمنة على المجتمعات العربية، وانتقدت أيضاً مباركتها من قبل الغرب الذي كوَّن صورة نمطية عن المرأة منذ الخطوات الكولونيالية الأولى. تمثيل ذلك في أهم كتبها لاستشراقية وفولكلورية الرؤية الغربية للمرأة الشرقية: «الحريمُ والغربُ» (2001). منذ بداية مسارها البحثي حتى نهايته، لم تحد قيد أنملة، عن أطروحتها المتمثلة في اعتبار تعاليم الإسلام غير متناقضة مع المساواة بين الجنسين، فالمشكل كامن في دفن هذه المساواة تحت ركام من القراءات الظلامية للنص الديني. في 2003، حصلت مناصفةً مع سوزان سونتاغ، على «جائزة أمير الأستورياس» في فرع الأدب؛ ثم في 2004، على «جائزة إراسموس» مع صادق جلال العظم وعبد الكريم سوروش. أكبر عرفان بأبحاث ومسار المرنيسي، سيُسجّل عام 2019، مع تأسيس الجامعة الوطنية المستقلة المكسيكية كرسياً باسمها، إلى جانب كرسي خاص باسمها أيضاً في «جامعة محمد الخامس» (الرباط)، تحتفظ كتابات ومسار المرنيسي براهنيتها، من خلال الفورة النسائية التي عرفها العالم العربي الإسلامي في حياتها وبعد وفاتها، ببروز أسماء نسائية سارت على النهج نفسه في نقد المظلم من تراثنا الديني والشرائع المجحِفَة التي اشتُقّتْ منه عَسَفاً، مع نقد التدخلات الغربية التي اشتغلت بعنف على تشويه كل الجسد العربي الجريح، مادياً (فيزيائياً) وفكرياً، بتشجيع الصورة النمطية الاستعبادية.

مرجع ثابت للنسويات العربيات

زهية جويرو*

لا أعتقد أن هناك امرأة في البلاد العربية وحتى في العالم الإسلامي تعي وضعها وما هو عليه من تعقيدات لا تعرف فاطمة المرنيسي أو لم تطّلع على شيء من كتاباتها وآرائها. بالنسبة إليّ شخصياً، سمعت بفاطمة المرنيسي للمرة الأولى وأنا طالبة في الجامعة التونسية. وكان من أوائل المؤلفات التي اطّلعت وجيلي عليها وتركت أثراً في وعينا كتابها «الجنس، الإيديولوجيا، الإسلام» في منتصف الثمانينيات. كان ذلك الكتاب مدخلاً لفهم معنى النظام البطريركي/الأبوي والتمييز القائم على الجنس والنسوية وغيرهما من المفاهيم ذات الصلة، وللوعي بأشكال من القهر المسلط على النساء لمجرد كونهن نساء.

تتالت بعد ذلك كتاباتها وكان للتزامن بين ظهورها وصعود التيار الديني الإخواني في الجامعة التونسية وفي تونس عموماً، دور في الإقبال على تلك الكتابات. إذ كنا نجد فيها الحجة النقيض التي تساعدنا في مناقشة الأطروحات الإخوانية بشأن المرأة، وفي الرد على ما كانت تنشره زينب الغزالي وغيرها من أعلام الاتجاه الإخواني وإيديولوجيته المعادية لكل القيم المرتبطة بمبدأ المساواة وبمبادئ حقوق الإنسان للمرأة. وكان كتابها beyond the veil الذي استمدّته من أطروحتها للدكتوراه المقدمة في الجامعة الأميركية والذي ترجمته في ما بعد فاطمة الزهراء أزرويل تحت عنوان «ما وراء الحجاب، الجنس كهندسة اجتماعية» من أهم الكتب التي كانت تسعفنا برؤية أخرى مختلفة للحجاب تستند إلى استقراء الواقع التاريخي-الاجتماعي وإلى السياقات الموضوعية والثقافية التي أنتجت ظاهرة الحجاب في أكثر من ثقافة وفي مجتمعات متعددة، ولم تقتصر على النظر في النصوص ومجادلتها والبحث فيها عن الحجة. وكان ذلك بدوره مدخلاً بالنسبة إليّ وإلى جيلي للوعي بأثر الواقع الاجتماعي وملابسات التاريخ في تحديد واقع النساء، وفي إدراك أن هذا الواقع لم تبنه نصوص الدين ولا نصوص القانون إلا بمقدار ما كان لهذه النصوص من أثر في تشكيل الذهنيات والتمثّلات بشأن النساء وأدوارهن وأوضاعهن في المجتمع، وأنّ ما كان له أثر فاعل كذلك في تحديد تلك الأوضاع هو الوقائع المادية الاجتماعية والوعي بما يحكمه من بنى مادية ورمزية في الوقت ذاته. كما كان لمؤلفاتها دور هام في تصحيح الكثير من المسلّمات الخاطئة، ومنها مثلاً المسلّمة القائلة بأن النساء لم يكن لهن دور سياسي ولا فعالية في هذا المجال على امتداد المجال العربي الإسلامي وعلى طول تاريخه، بناءً على ما شاع من كون النصوص التشريعية منعت النساء من تولي وظائف سياسية وقيادية عامة. جاء كتابها «سلطانات منسيات» ليثبت عكس هذه المسلّمة ويبيّن، بناء على حجج فعلية واقعية يصعب دحضها، وليس على تأويلات لنصوص لغوية فحسب، ما كان لنساء كثيرات من دور سياسي مباشر أو غير مباشر، ظاهر تارة، خفي طوراً، إلا أنه همّش وهمشن معه بحكم هيمنة النظام والذهنية الذكوريين. ونظراً إلى أنّ فاطمة المرنيسي مالت إلى نفي أن يكون الدين بحدّ ذاته سبباً في ما عانته النساء في العالم الإسلامي وفي ما يعانينه حالياً من عنف وأشكال تمييز وحرمان من الحقوق الإنسانية ومن حقوق المواطنة، وأرجعت الأغلب الأعم من أسباب هذا الواقع إلى عوامل إما ذات طبيعة اقتصادية واجتماعية، أو ذات طبيعة ثقافية عامة وذهنية ورمزية لا تقتصر على الدين، أو إلى فهم المسلمين للدين وإلى طريقة توظيفهم له في حياتهم الخاصة والعامة، فإنّها مثّلت المنطلق لتيار نسوي جديد بدأ يتشكّل منذ أواخر القرن الماضي واتضحت معالمه في أواخر العشرية الأولى من هذا القرن هو تيار النسوية الإسلامية التي لا ترى تعارضاً بنيوياً بين القيم الكبرى التي يقوم عليها الإسلام، وتلك التي تدعو إليها منظومة حقوق الإنسان وحقوق النساء. وبصفة مجملة، يمكن القول إنّ مؤلفات فاطمة المرنيسي وآراءها ساهمت بفعالية في تشكيل وعي أكثر من جيل من النساء في البلاد العربية وفي توجيه عمل النسويات والحركات النسوية ونضالهن. وأكاد أجزم أنّ مؤلفات المرنيسي وعملها النضالي يمثلان مرجعاً ثابتاً من مراجع كل النسويات العربيات حتى وإن اختلف بعضهن جزئياً عنها في بعض الأطروحات والمواقف.

* باحثة وأستاذة بكلية الآداب والفنون والإنسانيات، في منوبة (تونس)

ذكرى

فاطمة المرنيسي... ما بعد النسوية

لا السعيدي ــ «الحريم ــ إعادة نظر» (2012)

مشروع تحرّري في مواجهة «حرّاس الشريعة»

أمال قرامي *

ما الجامع بين النسويّة والحداثة ودراسات ما بعد الاستعمار؟ وإلى أي حدّ كانت الخطابات العربية حول الحداثة مرتهنة للسياق الاجتماعي والسياسي وللعلاقات المتغيّرة وغير المستقرة بين مختلف الأنظمة العربية والغرب؟ وهل يمكن فهم التمثّلات التي صيغت حول مجتمعات «الشرق الأوسط» بمعزل عن براديغمات الطبقة، والدين، الإثنيات...؟ وكيف أسهمت مشاريع الإصلاح في عصر النهضة، في بناء أنوثات جديدة وتأسيس أنماط ذكوريّة مختلفة كانت الدولة القطرية بحاجة ماسّة إليها؟

أسئلة شغلت عدداً من النّسويات فاهتممن بتحليلها وسعين إلى الإجابة عنها من خلال مشاريعهن الفكريّة. نسوق على سبيل المثال لا الحصر، ليلى أبو لغد، وميرفت حاتم، ونعمت حافظ بارزنجي، وهدى الصدة وأخريات. لم تكن المغربية فاطمة المرنيسي معزولة عن هذا الحراك الفكري العابر للثقافات. إذ إنّها انكبّت على دراسة البنى الاجتماعية والسياسيّة والاقتصاديّة والثقافيّة والرمزيّة للمجتمعات القديمة والمعاصرة التي أثّرت في حيوات الأفراد، وخصوصاً النساء.

ونلمح لدى المرنيسي تصميماً على إرادة الفهم وتصوّراً شموليّاً لأوضاع النّساء. إذ لا يمكن، في أيّ حال، فصل الاجتماعي عن السياسي، ولا فهم الأوضاع الاجتماعية والقانونيّة للنساء من دون ربطها بالمجال الاقتصادي والسياق الاجتماعي والسياسي... ضمن هذا التصوّر، تندرج أعمال المرنيسي التي أثّرت في أجيال مختلفة أكان على مستوى تنمية الوعي أو تطوير المناهج (1).

ولئن دابت النّسويات الليبراليات والاشتراكيات وغيرهن على استبعاد براديغم الدين، فإنّ للمرنيسي الفضل في التنبيه إلى أهميّة اختراق النساء، والنسويات على وجه الخصوص، أسوار المعرفة الدينيّة التي ظلّت لقرون حكراً على الرجال. فليس التهيّب أو النفور من المبحث الديني أو الإصرار على عدم خوض معركة مع «حرّاس الشريعة» في نظر المرنيسي، إلاّ علامة على خضوع النساء للعلماء الذين امتلكوا حقّ التأويل وروّجوا خطاباً حول النساء غير قابل للنقد. فليس أمام النساء اللواتي انتفخن بحقوقهن (التعليم والعمل والسفر...) إلاّ العمل على التحرّر من بُنى الهيمنة المتقاطعة بما في ذلك هيمنة قراءة على أخرى، وهيمنة تأويل على إمكانات أخرى للفهم.

وينتبه المتابع الحصيف لأعمال المرنيسي أنّها جدّدت عدّتها المنهجيّة، فلم توظّف ما وفّرته السوسيولوجيا من أدوات للتحليل فحسب، بل إنّها انفتحت على اختصاصات أخرى كعلم الحديث والفقه والتفسير والتاريخ والأنتربولوجيا والنظريات النسوية وغيرها. أمر يثبت أنّ الدراسات النسائية تتطلّب تمكّناً من علوم مختلفة ومناهج ومقاربات متنوّعة ولا يمكن للباحثات النسويات الاقتصار على اختصاص دقيق فقط.

> **فذهبت قراءة تفكيكيّة للدور الذي لعبه أبو هريرة في الترويج للأحاديث الضعيفة**
>
> **بحثت عن مقوّمات مشروع «العدالة الجندرية» في سيرة الرسول، بخاصّة خلال فترة استقراره في المدينة**

تلتقي المرنيسي، في اعتقادنا، مع اللاهوتيات النسوية الغربيات في الإقدام على الانشغال بالنصوص التأسيسية وإخضاعها للتحليل عن أيديولوجيّاتهم والامتيازات الذكوريّة أو تخدم السلطة السياسية، وأهمّوا المتقبّلين لخطاباتهم بأنّ قراءتهم للآيات والأحاديث هي القراءة الأكثر انسجاماً مع الإرادة الإلهية. ويكفي أن نتأمّل في قراءة المرنيسي التفكيكيّة لبعض الأحاديث الموظّفة لبيان دونيّة المرأة وللدور الذي لعبه أبو هريرة في الترويج للأحاديث الضعيفة حتى ندرك المهمّة الشاقّة التي نهضت بها المرنيسي من أجل لفت انتباه المسلمات والمسلمين إلى أهميّة وضع هذا التراث تحت المجهر وتناوله من زاوية التحديق النسائي.

ويمكن تفسير اهتمام المرنيسي بإعادة النظر في أسس الثقافة الإسلامية وإعادة قراءة المصادر التاريخية للإسلام المبكر وأعمال أشهر الفقهاء والمحدّثين والمفسّرين بأنّه محاولة لتصحيح بعض المفاهيم التي قدّمها المستشرقون أو تداولها عدد من المختصين في الدراسات الدينية ومن لفّ لفّهم كالدراسات المعبّرات عن توجّه النسوية البيضاء المتمركزات على ذواتهنّ. ولا شكّ في أنّ انكباب المرنيسي على عمليّات الإعادة: إعادة النظر، إعادة المراجعة، إعادة القراءة... كان له أثره في تصيّفها ضمن الدراسات المؤسّسات لتيار النسوية الإسلامية، وهو أمر أثار جدلاً كبيراً بين النّسويات في العالم. فهل أنّ المرنيسي نسويّة مسلمة أم من النسويات الإسلامويات؟

> وفق المنظور النسوي الذي يسمح للباحثة بالتعبير عن غضبها وصدمتها ودهشتها واستغرابها. ولذلك، نجد المرنيسي لا تتوانى عن إثبات أشكال تلاعب عدد من الفقهاء والمفسّرين المعادين للنساء بعقول الناس. فهؤلاء أوّلوا النصوص بطريقة تضمن مصالحهم وتعبّر عن رؤيتهم الذكوريّة للعالم

وبقطع النظر عن إشكاليّة التصنيف، فإنّ إصرار المرنيسي على أنّ القرآن يتضمّن آيات كثيرة مؤسّسة للنزعة المساواتية بين الجنسين، وأنّ أغلب الفقهاء والمفسرين هم الذين حرصوا على إقصاء النساء واستبعادهن تأثراً بالديانات السائدة ورغبة في المحافظة على النظام البطريركي والضبط الاجتماعي، يجعلها في تناغم مع الرؤية التي رسّختها أمينة ودود، وأسماء برلاس، وزينة أنور، وأميمة أبو بكر وغيرهن من المنتميات إلى النسوية الإسلامية. يُضاف إلى ذلك بحث المرنيسي عن النماذج النسائيّة التاريخيّة المعبّرة عن الفاعليّة والوعي كتركيزها على دراسة شخصيّة أمّ سلمة التي كانت تدلي بدلوها في المسائل الدينية وتناقش الرسول في بعض الآيات التي تخاطب الرجال دون النساء. يُضاف إلى ذلك بحث المرنيسي عن مقوّمات مشروع «العدالة الجندرية» في سيرة الرسول، بخاصّة في فترة استقراره بالمدينة.

تلحّ المرنيسي على الحفر في كتب التراث من أجل البحث عن المخفي والمستبعد والمغيّب في أعمال المؤرّخين والمدوّنين لمختلف العلوم حول أفعال النساء في التاريخ ومواقفهنّ وأشكال حضورهنّ وتعبيرهنّ عن الآراء والمواقف. ذلك أنّ تجميع أخبار النساء الفاعلات والمتمكنات من إبداء الرأي بكلّ جرأة مشروع أساسي من أجل تحويل النساء إلى مرئيات وتصحيح المفاهيم والسرديات. والمرنيسي إذ تحثّ الدارسات على القيام بهذا الجهد «التصحيحي»، تحاول أن تثبت أهميّة كلّ مشاريع التمكين النسائي: التمكين السياسي، والتمكين الاقتصادي، والتمكين الثقافي، والتمكين الديني، والتمكين المعرفي. وترى المرنيسي أنّ السياق المعاصر ملائم لإنجاز هذا المشروع الضخم، لاسيما بعد ظهور الثورة الرقمية التي أتاحت للنساء تبادل وجهات النظر والتجارب ومناقشة الآراء وتنظيم العمل من أجل تغيير الواقع.

ونظراً إلى أنّ المرنيسي احتكّت بشخصيات غربية كثيرة واطلعت على أعمال عدد كبير من المثقّفين/ات وعاشت تجارب مختلفة في أوروبا والولايات المتحدة الأميركية، فقد أمكن لها رصد تجلّيات المركزيّة الغربية، وأثر الفكر الاستعماري، والثقافة الاستشراقية المتسلّلة إلى المجتمعات العربية والإسلامية. ولم تتوقّف المرنيسي عند الملاحظة والتحليل، بل انطلقت في التنديد ببعض الممارسات والتصوّرات وسعت إلى تعرية أنساق التمثيل وبيان تهافت سرديات عدد من المثقّفات والمثقفين.

ولعلّه من المفيد التنبيه إلى الدور الذي نهضت به المرنيسي من أجل حثّ النساء على فهم واقعهن وتاريخهن ضمن سياق احتدم فيه النقاش بين المدافعين عن سياسات الهويّة والمطالبين بالوقوف ضدّ الاستعمار الذي يرغب في «تغريب» الأجيال الجديدة، وخاصة النساء من جهة، وأنصار الفكر الاستشراقي والنزعات الكولونيالية من جهة أخرى.

وعلى هذا الأساس، يكون مشروع المرنيسي متأسساً على تحرير النساء من هيمنة قراءة بطريركية وفي الوقت ذاته، تحريرهن من سطوة الآخر المتمركز على ذاته وثقافته، وقد تكفّلت المرنيسي بتوفير عُدّة منهجيّة تسمح للنساء من امتلاك الصوت وكتابة سرديتهنّ وتاريخهنّ.

* أستاذة الدراسات الجندرية في جامعة منوبة/ تونس

(1): كان لنا شرف التواصل مع هذه الشخصية الفكرية والنسوية القدوة والتعلّم منها والاستئناس بتجربتها والإحالة على أعمالها ومواقفها في دروسنا. ولئن كان تصميمنا على تدريس بعض نصوص المرنيسي له ما يبرّره في ماجستير الجندر والثقافة والمجتمع الذي نشرف على إدارته، فإنّ إدراج نصوص المرنيسي في درس الإسلاميات وفي درس أعلام فكر النهضة له أهميّة بالغة، إذ يُنظر إلى إنجازات عصر النهضة وما تلاها من خلال سير المصلحين والمفكرين والمثقفين ويتم التغاضي عن المشاركة النسائية.

فكّكت «هندسة الحريم» وبنى الحَجب والقهر!

زينب التوجاني *

منذ «كتابها الحريم السياسي: النبي والنساء» (1992)، نافست فاطمة المرنيسي المؤسّسة الدينية والمؤسّسة الذكورية المحتكرة للدين، فكشفت الفرق بين النص القرآني وبين التقاليد الاجتماعية التي كرّستها الأحاديث النبوية والموضوعة والمؤسسة الفقهية ومؤسسة الفتوى لتأبيد وضعية دونية النساء. وواجهت بذلك تعاليم نظام أبويّ كرّس سيف المقدّس على النساء وحرمهن حقوقهن باسم طاعة الدين والاستجابة للأمر الإلهي. نقدت المرنيسي بشدة مقاومة هذه المؤسسات المحافظة للتجديد وتشبّثها بحرفية التقليد والقيود المفروضة على النساء باسم السُّنة النبوية والدين القويم. لذلك، وجدت المرنيسي نفسها تتجه نحو نقد نسوي معرفي للعلوم التي أسّسها الذكور واحتكروا بها فهم وتأويل النص القرآني والمؤسسة الفقهية والقوانين، وجعلوها بذلك تخدم مصالحهم وغاياتهم. يمكن القول بأنّها رائدة هذا التيار النسوي الإسلامي الذي ينقد بشدة احتكار فهم النص القرآني ويدعو النساء إلى فهم وتقديم وسائل وقيم جديدة لتأويل النص وإنشاء قراءات عادلة ومساوية بين الرجال والنساء بما يتلاءم مع حق النساء في المشاركة في وضع تأويل وصناعة فقه يناسب وضعهن الجديد. وهي قراءات تبجّل روح النص على حرفيته، وتبحث في سياقات الآيات وتبرمن نسبية الأحكام وتفسّرها في سياقاتها التاريخية، وتبرز قيماً دينية وأخلاقية مطلقة قامت عليها روح الشرائع والأديان كالمساواة والعدل والكرامة البشرية. لم تكتف المرنيسي بالدعوة إلى المساهمة في إنتاج المعنى الديني، بل أسهمت في إضاءة جانب من تاريخ النساء المنسيّ الذي لم يبرز إلى العلن، وبقي في طيّات النسيان. هكذا، نفضت عنه غبار الذاكرة وأبرزته لتثبت أنّ النساء قادرات على المشاركة في الفكر والحكم والفضاء العام، ولا يمنعهن عن ذلك سوى ظلم التقاليد المبرّرة بتبريرات دينية. ولهذا ركّزت المرنيسي على نقد الهيمنة الذكورية والتمثّل الأبوي للعلاقة بين الذكورة والحريم.

لقد جمعت المرنيسي بين ثقافتها التقليدية التي تلقّتها في طفولتها، وثورتها على تلك المنزلة الدونية الظالمة وبعدها الكوني الذي أثرته تجربتها في التخصص في العلوم الاجتماعية في فرنسا وأوروبا، فاتّسع نطاق كتاباتها ليشمل ثورتها لا على صورة الثقافة الأبوية العربية فقط، بل على الثقافة الغربية نفسها وصورها النمطية حول النساء العربيات. سافرت المرنيسي في أعماق بلادها المغرب لتكشف عن نساء غير مرئيات يعملن ويُعلن أسرهن ويسهمن في تنمية الثروات العائلية، لكنهن لا يحظين بالاعتراف ولا المرئية، وكشفت بمنهجها الحديث عن مفارقة الوضع النسائي في العالم العربي

> **نصر حامد أبو زيد خصّص لها فصلاً من كتابه «دوائر الخوف»، مشيداً بجهودها ومُبرزاً إضافتها وبصمتها**

حيث النساء يعانين الاضطهاد مرتين: مرة بسبب العادات، ومرة أخرى بسبب التصورات المتخيّلة عن «حريم» تسوّق له متخيّلات جنسية تلقى صدى وهوى في الغرب، وتتاجر بقضايا النساء لتعبث بحقوقهن وكرامتهن.

عملت المرنيسي على كشف سلطة توظيف الثقافة الذكورية، سواء أكانت عربية أم غربية، للهيمنة وتأبيد واستغلال الضعفاء، وكانت النساء في دائرة الاستغلال يعانين حجباً رمزياً ومادياً وطبقات من الخوف من الأنثوي ومن الحداثة ومن الحرية. برعت في كشف تلك العقد المتتالية على الثقافة العربية بحجج دامغة من واقع المجتمع المغربي والعربي، كما برعت في مناصرة قضايا النساء في الصحف وفي الجرائد والملتقيات والندوات. لم تغب المرنيسي عن الساحة الثقافية، بل قاتلت داخلها وداخل الورق من أجل تحرير صوت وعقل المرأة من عقال التوظيف والهيمنة السياسية والاجتماعية والدينية.

لم تدّخر المرنيسي جهداً في تفكيك بنى الحجب والقهر والخوف من النساء ومن حريتهن، فبرزت تلك البنى الطبقية والثقافية، وكشفت هندسة الخوف وبنيته الداخلية، ما جعلها تحظى باهتمام مفكرين من بينهم نصر حامد أبو زيد الذي خصّص لها فصلاً من كتابه «دوائر الخوف»، مشيداً بجهودها ومُبرزاً إضافتها وبصمتها.

لقد فكّت الكاتبة المقاومة أسر النساء بقلمها وبعلمها وبوجدانها، إذ قاومت، حتى وافتها المنية، بنية الهيمنة الذكورية في الغرب والشرق، حتى صارت مثالاً في الكتابة النسائية والمقاومة معاً، وتركت بصمتها في الثقافة العالمية المقاومة للظلم وللقهر والذكورية والاستبداد.

كتبت فاطمة المرنيسي تاريخاً جديداً للنساء العربيات، حين فكّت أغلال هندسة الحريم وكشفت ما وراء كل القيود المفروضة على النساء، من مصالح وقوى، وأبرزت كيف أنّ التقاليد اللامرئية أكثر بطشاً بالإنسان من تلك التي يمكن رؤيتها. بذلك، كسرت حواجز الصمت وتركت وراءها طريقاً معبّداً للواتي يمكنهن مواصلة المقاومة للخروج بالنساء من تاريخ قهرهن الطويل إلى تاريخ جديد يكنّ فيه محظيات بالمساواة والكرامة والاعتراف على قدم المواطنة والحق، لا التفضّل ولا المنّ من أيّ سلطة سياسية أو دينية أو اجتماعية. فحرية النساء لا يمكن أن تُهدى لهن، بل هي ككل قصص الحرية، تُفتك افتكاكاً وتُنتعهد بالأسوار والحرص حتى لا تكون تلك الحرية وتلك الحقوق محل قهر جديد. رحم الله الكاتبة المبدعة، فقد عبّدت طرقاً صعبة بعدما افتكّت فضاء الدين من الرجال، وجعلته مشاعاً لكل إنسان، ورحلت بالفكر العربي الحديث من زوايا ضيقة إلى سماء المعرفة الرحبة والنقد البنّاء والحفر في الأعماق، وعسى أن يكون لكل ما خطّته أثر عند الرجال والنساء على حدّ سواء.

* باحثة تونسية في مجال الحضارة العربية الإسلامية وتحليل الخطاب الديني

المرنيسي تتوسّط (من اليسار) الإيرانية مهناز افخمي والهندية ياسمين مرشد والتركية دينيز كانديوتي عام 1966

شعر

حسن العبدالله: ظلّ الظلّ*

في شعر حسن العبدالله لغة حشية ندية وطازجة عرفناها منذ قصائده الأولى في «اذكر انني احببت» (دار العودة-1978) وتسيل براقة متوهجة في نصّه الملحمي «الدردارة» (دار الفارابي-1981) حيث الكلمات تفوح برائحة المكان الجنوبي الذي وصفه العبدالله في هامش كتابه بشيء يمكن وصف القصيدة فيه من دون أن يتبدّل المعنى: «في الصيف، في الماضي، كانت الخيام تتدلّف غرباً نحو الدردارة. فتنبت بين أشجار التين الخِيَم التي تقيم فيها العائلات في الكروم والحقول لمدة ثلاثة أو أربعة أشهر... لذلك فإن الدردارة، للذين يعرفونها قديماً، اسمٌ تفوح منه رائحة الصيف... ومع تقهقر شكل الحياة الريفي، بات ربيع الدردارة أهمّ من صيفها... تصوّروا... الربيع؟؟ هذا الشيء السخيف!». إنها لغة تحرّض على النوستالجيا رغم أن حسن العبدالله ــ بخلاف العاطفيين منا ــ جعل في شعره من الدوري وماء الساقية و«أبو الحنّ» والحور وبصل الحقول أشياء لا تعني إلا ذاتها، وتركها تبني عالمها وفلسفتها الخاصة بعيداً من استيهاماتنا واسقاطاتنا لتعيش حياتها الإكزوتيكية وتخترع حتى مفرداتها: «ليكن خريفاً صادقاً/ وليالٍ فلّاح شديد الباس/ ولينهضْ صباحاً مع صياح الشمس/ ولينفض يديه من التعاسة والكسلْ/ وليعدْ عَدْوَا/ قائداً ثيرانه الصفراء/ وليكتُبْ بديلاً عن قصائدنا العقيمة/ سطر فجلْ!»... في شعر حسن العبدالله الأول، تأمّل متوتر يكهرب اللغة «حفروا في الأرض/ وجدوا امرأة تزني/ ملكاً ينفض عن خنجره الدم/ حفروا في الأرض/ وجدوا فخّاراً/ أفكاراً/ لحناً جوفياً منسرباً من أعماق البحر/ حفروا في الأرض/ وجدوا رجلاً يحفر في الأرض». أو صواعق تخترق الإحساس مباشرة كما في «أجمل الامهات».

حيث لا يمكن للتأمل أن يأخذ مساحته إلا مجبولاً دمعتين ووردة. الشاعر المولود في الخيام (1944) على تخوم الأرض الجنوبية مع فلسطين، تفتحت حساسيته الشعرية على التغريبة الفلسطينية التي خلّد ذكرياته عنها في قصيدة «شيء من ...1948» وشكّل مع ثلّة من الشعراء ما عرف في سبعينيات القرن الماضي بـ «شعراء الجنوب» الذين ما لبثوا أن تفرّقوا في كتاباتهم مذاهب شتّى. لكن ظلّ في شعر حسن العبدالله ذلك الالتصاق بالأرض وتلك اللغة الغريبة للكائنات التي تطلع إلى نفسها، وتجرنا إلى التطلع عليها مستخدمين حواسنا بأكملها: «ذلك الزمن/ الذي كنا نشرب فيه القمح وهو لا يزال حليباً في السنابل». في الدواوين الأخيرة (راعي الضباب-1998) وخصوصاً «ظل الوردة». فتح حسن العبدالله لغته الشعرية أكثر على مؤثرات التأمل والهدوء. كأنه كما يعترف في نصّ «الحياة كشيء مألوف»: «كلّ ما هو جميل الآن/ في الأدب والفنّ/ سيتحوّل مع مرور الزمن/ إلى شيءٍ يستمدّ معظم قيمته من قِدَمِه، فالزمن يعتّق احداث الماضي/ بالطريقة التي يُعتّق بها الخمرة». تأمل الراعي لفسحة الضوء في الضباب وهدوء المتأمل بالأشياء وقد أخذ مسافة كافية منها، في لغة ـ رغم احتفاظها ببريق الدهشة الطفولية ـ تخترقها نفحات من الحزن والنوستالجيا تسائل الجدوى من كل الأشياء... حتى من النوستالجيا ذاتها. نصوص تنشر للمرة الأولى خصّ بها حسن العبدالله «كلمات»، إضافة إلى «شيء من... 1948» للشاعر الذي حمل شمس الجنوب في يمينه ودخل الوطن من شرفة الفقراء

تقديم **محمد ناصر الدين**

■ تحت شجرة التّين

-1-

لم يبقَ من شجرة التين المُعمّرة
التي كنّا نستمتع بظلالها أكثر مما
كنّا نستمتع بثمارها،
سوى بقايا جذعها
هذه البقايا تسمحُ لي بإعادة بناء
الشجرة
فاصعدْ أولاً بالجذع إلى أعلى
وأرسل الفروع والأغصان في كل
اتجاه
فتُسرعُ الأوراق وتحتلُّ أماكنها على
الأغصان
وعندما يكتمل بناء الشجرة
وترخي ظلّها الوارف على الأرض
اخلع حذائي، واضعُهُ عند اسفلِ
جذعها
ثم اسندُ رأسي إلى الحذاء
وبعد أن أكون قد استلقيتُ في وضعٍ
مُريحٍ
أُغمضُ عينيّ...
ومن مكان قريب،
يتناهى إلى سمعي صفيرُ عصفور
«أبو الحنّ»
فأُطبقُ أذنيَّ عليه
واغفو...

-2-

باستثناء الدُّوري
الذي لا يزال ناشطاً في هذا الهواء
فإنّ الفضاء فارغٌ من الأفق إلى الأفق
أمّمَ كثيرة من النبات والطّير
والحيوانات انقرضتْ
يا للسهل الأجرد الكئيب!
لا يوجدُ شيءٌ ننحني لالتقاطه
أو نشرئبُّ على أطراف أصابعنا
لقطافه
إنّه الغَسَق
الغيمة الثقيلة السوداء تقترب
بزُدّ
من ذلك النوع الذي لا يجتاح
إلا مريضاً!

-3-

ذلك الزّمن
الذي كنّا ننام فيه مع الشمس،
ونستيقظ عندما تستيقظ
ذلك الزّمن
الذي كانت تُظلّلنا فيه الشجرة،
ويحطّ على كتفنا العصفور
ذلك الزّمن
الذي كنا نشرب فيه القمح وهو لا
يزال حليباً في السنابل
ذلك الزّمن
الذي لم نكن نذهب فيه إلى البقّال
بل إلى البساتين والحقول.

■ ما الذي يراه ولا نراه

-1-

إمدادُ العالم كل صباح
بالخُبز والحليب والبيض الطازج
هو معجزة إنسان العصر
وليست الإلكترونيات، والسخافات
المُشتقّة منها
كالهواتف النقّالة، والمراكب
الفضائية
لكنّ وصول الخُبز والحليب والبيض
الطازج
إلى أحد البيوت
وعدم وصولها إلى البيوت الثلاثة
المجاورة
هو الذي يجعل أعداداً متزايدة من
الناس
تُمسي ولا عمل لها

سوى اللجوء إلى أماكن «تحت-أرضية»
والانصراف إلى إعداد الأفكار،
والعبوات الناسفة!

-2-

سيظلُّ الإنسان همجيّاً
ما لم يدرّس التاريخ في المدارس
كمأساة متواصلة من مآسي البشَر

-3-

العالَم يتمزّق ويحترق ويتهاوى
ويتدحرج بسرعة نحو نهايته
ونحو نهاية الإنسان نفسه
وهناك،
وراء البحر والمحيط
تجلس سيدة العالَم العجوز أميركا
في زاوية منعزلة
وتعدّ دولاراتها!

-4-

ما الذي يراهُ ولا نراه
ذلك الذي يُضحّي بحياته
من أجل إنقاذ حياة أشخاص آخرين
هو، في الغالب، لا يعرفهم ولا
يعرفونه.

-5-

فتحَت باب المقهى ودخلَت
طافت بنظَرها في أنحاء المكان
وعندما وقعَ نظرُها عليّ، ابتسمَتْ
وتابعَت الابتسام وهي تتقدّم نحوي
أنا أيضاً، رحتُ أتهيّأ لاستقبالها
بابتسامة مماثلة
صافحتني بحرارة، وكدنا نتبادل
القُبَلات
لم أكن أعرفها!
وللحظات، لم أدرِ ما ينبغي عليّ أن
أفعل
وانقذَتْني من حيرتي عندما حدّقت
من جديد في وجهي وقالت:
- عفواً..ظننتُكَ شخصاً أعرفُه
- لا بأس، اشربي فنجان قهوة
- لا، شكراً
واتّجهت نحو الباب الزجاجي
المواجه لطاولتي
وعندما مدّت يدها لتفتح الباب،
انزاح الشال الأزرق عند كتفها الأيمن
وظهَرَ واضحاً أثر شظيّة القذيفة
التي كادت تقتلنا معاً، ونحن في
الخندق، تحت شجرة الصنوبر،
في الجبل في الحرب، منذ أكثر من
أربعين عاماً...
- إنها هدى!
تبعتها مسرعاً إلى الخارج، فرأيتها
تندسُّ في سيارة أجرة، انطلَقَتْ
مُسرعة بها في جوف نهار الأحد
الفارغ.
محاولةً اللحاق بها في سيارة أخرى
كانت ممكنة، لكن،
ما جدوى ذلك؟

■ ليست الجنّة

-1-

فجأةً تُسمَعُ حركة في الدّغل
وتظهر رجُلان تخوضان عبر سيقان
الأعشاب العالية
الهدهدُ يفرّ
والأفعى تنسلّ بعيداً
تنظرين إليّ بخوف
وأنظُر إليكِ بريبة
لقد فسَدَ كلُّ شيء
فما دام هناك شخص ثالث
فهذه إذاً، ليست الجنّة!

-2-

استدعيتُ المصعد الكهربائي من
الطابق السابع
ووقفتُ أنتظره يهبط ببطء
ها قد وصَل
فتحتُ الباب، وقبل أن أهمّ بالدخول،
لمحتُ امرأةً حسناء مسرعةً نحوي
فتحتُ باب المصعد إلى أقصاه وقلت:
- تفضّلي
- شكراً
- إلى أين؟
- إلى السابع

ضغطتُ على الرقم (7) في لائحة
الطوابق
ورحنا نرتفع بصمت ورهبة كأننا
نصعد في الفضاء
عندما بلغْنا السابع، خرجَت المرأة،
وخرجتُ وراءها
اتّجهت المرأة نحو الباب الأول إلى
اليسار، وكانت تلك وجهتي!
أخرجَت المرأة مفتاحاً من حقيبتها،
وفتحَت الباب ودخلَت.
حاولتُ بدوري الدخول، فاعترضتني
قائلة:

- تريدُ شيئاً؟
- لا
وأطبقَت الباب بهدوء
فاستخرجتُ بدوري المفتاح من
جيبي، وفتحتُ الباب نفسهُ ودخلت!
هدوء...

المصعد يضيءُ وينطفئ، ويصعدُ
ويهبط
في أجواء البناية الساكنة!

-3-

لم تعرفني أبداً
جالت في بعض حقولي
صعدَت بعض جبالي
لكن، لم تُبصرْ يوماً
صحرائي الكبرى
ومحيطي الباسيفيكي

-4-

فعلّت معه
أسوأ ما يمكن أن تفعله امرأة مع
رجُل
بعدما توقّفَ عن حُبّها
استمرّت في حُبّه!

■ الحياة كشيء مألوف

-1-

أكثرُ الناس تصالحاً مع الحياة
هم أولئك الذين يعتقدون
أنّ ما حدث لهم
لم يكن ممكناً إلا أن يحدث لهم
أما أولئك الذين يعتقدون أنّ ما حدث
لهم
كان يمكن ألا يحدث معهم
فهم أولئك الذين نسمع عويلهم
على طول تاريخ الأدب والفن
والفلسفة

-2-

كلّ ما هو جميل الآن
في الأدب والفنّ
سيتحوّل مع مرور الزمن
إلى شيءٍ يستمدّ معظم قيمته من
قِدَمِه
فالزمن يعتّقُ أحداث الماضي
بالطريقة التي يُعتّق بها الخمرة

-3-

ما أكثر الذين يسافرون إلى تركيا
في هذه الأيام
وما أكثر الذين يسألونك:
- هل تريد شيئاً من هناك؟
- نعم... أريد.
ليت أحدكم يعرف لي إن كان ناظم
حكمت
لا يزال حيّاً هناك!

-4-

لم أعُد أرى بشكل واضح
وقد صار ينبغي أن أتوقّف
وامسح زجاج مقدّمة الحياة!

-5-

أغرب ما في الحياة
هو تعاملُنا معها
على أنها شيء مألوف!

* (نصوص من كتاب «شعر وتأملات» سيصدر قريباً وهو التالي بعد كتاب «ظلّ الوردة» الذي صدر عن «دار الساقي»).

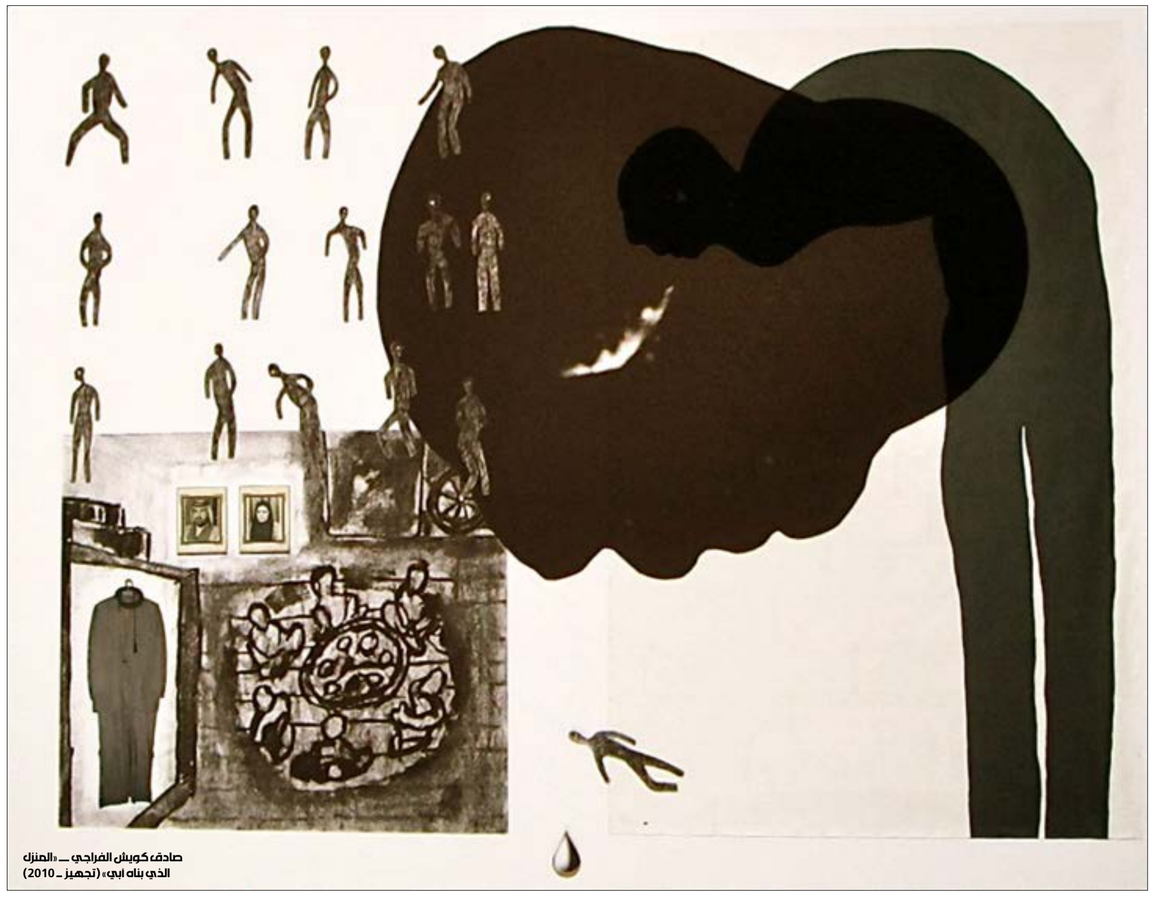

صادق كويتي الفراجي ــ «المنزل الذي بناه ابي» (تجهيز ـ 2010)

شيء من... 1948

مقاومونَ مضحكونَ يضحكونَ
قرب قريةٍ صغيرة
يحتشدُ الأطفال والنساء حولهم
ورجلٌ يمرُّ لامبالياً
فراشةٌ تمرُّ
نسمةٌ
رصاصةٌ
طائرةٌ عاليةٌ أعلى من البواشق
الكبيرة.

■■■

الشمسُ تجري في العصافيرِ
وفي أوردةِ التينِ وفي فكّينِ
يعملانِ فوق رَبْعةٍ غزيرةِ
الحشيش
يا بقرةً نحبُّها كما نحبُّ أمهاتنا
يا زغبَ الصخورِ
يا حضارةً من ورقِ التينِ والزيتونِ
ويا.. فلسطين
فلسطين التي تمضي
فلسطين التي تأتي
فلسطين التي:
«تحيا فلسطين»
التي
«عاشت فلسطين»
التي
عيّشها الاسمُ الذي:
«يعيش!»
يعيش فوق رَبعةٍ غزيرة الحشيش.

■■■

الشمس تجري
المقاومون يأكلونَ
خلف الزرع والعصفور والحجارة
البيضاء-في مكانٍ ما من النهار
التاسع النظيفِ-كان مدفعٌ يدور
بين الأرض والسماء.
أكَلَ المقاومون... دخّنوا...وفكّكوا
السلاحَ...لاعبوا الأطفال...
ضاحكوا النساءَ
دار الظلّ نصف دورةٍ على التراب
حول صخرةٍ عاليةٍ يركبها الطفل
الذي- عدا الجميع- يستطيع أن
يرى الجنود يضربون الخيمة
الخضراء
أحد المقاومين قامَ، قام معه فخذاهُ
شارباهُ
بطنهُ
قنبلةٌ كبيضة الثور تدلّت من
نطاقِهِ
مشى...
تبعهُ المقاومون رفسوا الأعشاب
والحجارة البيضاءَ بالأحذية
القاسيةِ، انحنوا لدى مرورهم
بالشجر المنخفضِ الأطرافِ، قبل
أن ينعطفوا المنعطفَ الهابطَ نحو
السهل لوّحوا كأنهم يسافرونَ
في الروايات وفي القصائد القديمةِ
المحاربة.

■■■

مَن شاهد الحقولَ-قمحَها
المَوجيَّ-والمقاومون يبعدون
يبعدون..يبعدون..
وتلّتانِ ثمّ قريةٌ وطائرٌ وجبلٌ
يذوب في الهواء
تلك غيمةٌ أم الدخان؟
مدفعٌ أم الجنود يحفرون في
الجبل؟
من سمعَ الرصاص؟ من رأى
الدخانَ؟ من رأى الطائرةَ
الرجالَ يركضون
والنساء يحتشدنَ حول خَبَرٍ
كبير؟!
من شاهد الطبيب وهو قادمٌ كاللهِ،
حاملٌ كاللهِ محفظتَهُ؟!

■■■

في الخبَرِ الذي أتى من الجنوب
كان ميتٌ ممدداً وروحُهُ خارجةٌ
من كُمِّ سترته.
فحصَهُ الطبيب جيداً وقال: مات!
في رأسهِ، وفي عظام صدرهِ، في
البطنِ واليدينِ والفخذين
كان ميتاً.
كان شديد الموت في عينيهِ.
في ذلك المكانِ من عينيهِ حيث
يوجدُ الوطنْ.
وهكذا
لم يسمح المقاومونَ للغزاةِ أنْ...
(من مجموعة «أذكر أنني أحببت» -1978)

أوراق

مهنة الشحّاذ

فيك مونيز ــ «متسوّل» (2001)

زكريا محمد *

كيف حصل أن المكدّي المتسوّل أخذ اسمه «الشحّاذ»، من أنّ الجذر «شحذ» لا يشير إلى هذا في الأصل. فهذا الجذر يعطي معنيين أساسيين:
1- شَحْذُ السكينِ أو السلاحِ وإمضاؤه وتحديده.
2- دفع الهمم وبعث الحماسة فيها.
أما حين تحاول القواميس العربية تفسير ربط الشحاذ ومهنته «الشحاذة»، أو «الشحدة، الشحادة» بالعامية، بالجذر «شحذ»، فهي تصل إلى أن الأمر يتعلق بالاستعارة لا بأصل معاني الجذر. يقول قاموس «المنجد» مثلاً: «الشّحاذ: ج شحاحذة وشحاذون: المتسول أي المستعطي وهو مستعار من شحذ السكّين، أو لأنه قد شحذ الناس بنظره أي حدّده إليهم، يعني أرسله إليهم بحدّة». وكما نرى، فالشحاذ يرسل بصره بحدة إلى الغير كما لو أنه يشحذ سكيناً. أي أنه شحاذ على سبيل التشبيه والاستعارة، لا على سبيل الحقيقة. وهذا غير مقنع على الإطلاق. فليس هناك من مناسبة بين شحذ السكاكين وتحديق البصر. لكن هذا التفسير يبيّن على الأقل أنّ الشحذ بمعنى السؤال والكدية والتسول والإلحاف معنى غير أصيل في الجذر.
ويبدو لي أن «الشحاذة» كانت في الأصل مهنة اجتماعية معترفاً بها وضرورية للمجتمع في زمن موغل في القدم. أي أنها لم تكن كما هي اليوم خيار من أسقطهم المجتمع من حسابه. لكن حين فقدت قيمتها الاجتماعية، تحولت بالتدريج إلى مهنة ارتبطت بالسؤال والإلحاح. وقد شجعني على هذا الاستخلاص ما جاء في كتاب لليمني فضل الجثّام بعنوان «الحضور اليمني في تاريخ الشرق الأوسط». والكتاب يؤيد نظرية الصليبي حول أصل التوراة، وهي النظرية التي أضلت كثيراً من الباحثين الهواة، وضيّعت أعمارهم مجاناً. وكل ما فعله الباحث هو أنه نقل مسرح أحداث نظرية الصليبي من جنوب المملكة السعودية إلى منطقة «سرو حمير/ يافع» في اليمن. لكنّ الكتاب يقدم لنا معلومة اجتماعية يبدو أنها يمكن أن تحلّ إشكال التسول في جذر «شحذ» في القواميس العربية. إذ ما زالت هناك، بحسب الكتاب، في منطقة سرو حمير/ يافع اليمنية، وظيفة اجتماعية محددة، يمارسها رجالٌ محدّدون يطلق على كل واحد منهم اسم «الشاحذ». والشاحذ صيغة اسم الفاعل بينما الشحاّذ صيغة مبالغة. أي أنهما مبدئياً يعنيان الشيء ذاته. ولهذا الشاحذ:
«حضور لازم في كل مناسبات الأفراح والأتراح... فدوره يغطي مساحة شاسعة في الحياة؛ فمن خدمات الجزارة (الذبح) والختانة إلى القيام بفنون التزيين والحلاقة... إلى التطبيب... [و] الحجامة (الفصد). وفي أفراح الزواج نلقاه في كل طقس... وفي الأعياد يؤدي خدمات لا تضاهى: كالحلاقة والجزارة وضرب المرافع (الطبول) والطّاسات... أما في فترات الحرب، فنجده إذا نشبت المعارك في طليعة المحاربين يقرع طبول الحرب، وتدوي بين يديه مرافعها، وهو بدوره يلهب حماسة المحاربين ويشد من أزرهم ويسنّ لهم سيوفهم وحرابهم» (ص38).
إذن، فحين تقول «الشاحذ»، الذي هو صيغة من «الشحّاذ»، فسوف يفهم أهل «سرو حمير» أنك تشير إلى إنسان له مهنة اجتماعية محددة وضرورية، لا يستطاع الاستغناء عنها. فهي تتعلق بشدة بأمور الحرب والسلام وطقوسهما. ومن الوظائف الاجتماعية المتعددة لـ «الشحاذ» هذا، يمكن أن نفهم سبب تعدد معاني الجذر «شحذ» في القواميس العربية. فالشاحذ عند أهل سرو حمير:
1- يشحذ السيوف والحراب: (ويسنّ لهم سيوفهم وحرابهم)، كما هي الحال في القاموس. وهو يسن السكاكين للجزارة والحجامة والحلاقة أيضاً.
2- يشحذُ الهمم ويبعث الحماسة. وهذا ما يعنيه الجذر «شحذ» في القاموس بالضبط. عليه فحين نقول «شحذ همتهم»، فنحن، في الأصل، لا نقولها مجازاً وإنما نقولها على الحقيقة. فقد كان هناك رجل يدعى الشاحذ أو الشحّاذ للقيام بهذه المهمة. أقصد أن هذا المعنى ليس مأخوذاً من شحذ السكين، أو من غيره.
3- أما معنى الإلحاح في السؤال وفي الطلب، فيبدو أنه جاء في الحقيقة من الطريقة التي كان يحصل فيها «الشاحذ» على أجرته، التي ما زلنا نرى ظلالاً لها حتى الآن في اليمن. إذ «يعمد الشاحذ إلى التطريب (نوع من الغناء والنشيد) فوق جُبا بيت الحرير وبيت الحريرة (أي بين العريس والعروس) ... ويتم لهم ذلك بقسع الطبل مصحوباً بترانيم القصبة (الشبابة) وذلك حول شالة- قطعة من القماش- يفرشونها فيصعد الحرير وأقرباؤه أو أقارب الحريرة، فيغدقون بالهبات النقدية». أكثر من ذلك، فإن القرية كلها ملزمة أن تدفع للشاحذ: «وفي حالة امتناع أسرة بعينها عن تقديم النقطة (النقوط) للشاحذ، فإن الشاحذ يمتنع عن ترقيص أفراد هذه الأسرة ويواجههم إذا حاول أحدهم اقتحام حلبة الرقص».
وهكذا فالإلحاح موجود هنا أيضاً. فالشاحذ يرغم أصحاب العرس تقريباً على دفع ما يريد. أي أنه يلحف ويلح للحصول على ما يعتقد أنه حقه.
عليه، فمهنة «الشاحذ» اليمني تضم كل معاني جذر «شحذ» الأساسية: إمضاء السكاكين والسيوف وتحديدها، شحذ الهمم، والإلحاح في السؤال.
ويبدو أنّ هذه المهنة اليمنية، مهنة الشاحذ، هذه كانت منتشرة في العالم القديم، لكنها أخذت في الانحدار والموت، وحلّت محلها مهن أخرى، بعدما صارت عبئاً على المجتمع. فشحذ السكين صار خاصاً بالحدّاد، وشحذ الهمم أعطي للشاعر أو الخطيب، وبقي للشحاذ الإلحاح في السؤال فقط. وهكذا بدا الشاحذ بناء على ذلك، وفي نهاية الأمر، كما لو أنه متسول يأخذ أجرة لا حق له فيها، أي كما لو أنه يبتزها من الناس ابتزازاً. وهذا هو السبب الذي جعل كلمة شحاذ تعطي معنى التسول والكدية والاستجداء والإلحاح في السؤال. وهكذا ضاعت مهنة الشاحذ أو الشحاذ الأصلية، وسقط وضعه، وصار مشابهاً لوضع الذين أسقطهم المجتمع وأصبحوا لا يملكون شيئاً، أي الفقراء المتسولين. لقد تحول «الشاحذ» إلى «متسول».
كلمة الشحاذ إذن تحمل في طياتها وتضاعيفها قصة ظهور انحدار مهنة اجتماعية ثم زوالها. لكن هذه المهنة تمسّكت بأظافرها ببقعة جغرافية واحدة هي سرو حمير اليمنية، كي تعرض لنا مجدها القديم، وشرفها في أيام عزها.
إذن، فالشكر لسرو حمير اليمنية التي وفرت لنا فرصة لفهم أصل تشابك جذر «شحذ» العربي، ولفهم تاريخ مهنة كانت خطيرة الأهمية اجتماعية، ثم سقطت وصارت مهنة من سقطوا من المجتمع.

* شاعر فلسطيني